ابن سَناءِ المُلْك

545 - 608 هـ

مختارات من شعره

اختارها وقدّم لها

ماجـد الحكـواتـي

مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

حقوق الطبع محفوظة للناشر
مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية
هـاتـف: 22415172 965 +
فاكـس: 22455039 965 +
بريد إلكتروني: **info@albabtaincf. org**

تصميم الغلاف: محمد ناجي

صدرت هذه الطبعة بمناسبة إقامة الدورة الثامنة عشرة
دورة «ابن سناء الملك وابن مليك الحموي» 2023

الكويت 2023

التصدير

بمناسبة إقامة الدورة الثامنة عشرة لمؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، دورة ابن سناء المُلك (ت 608هـ)، وابن مليك الحموي (917هـ) - 2023، أصدرت المؤسسة هذه المختارات الشعرية من ديوان ابن سناء الملك، لقد ترك هذا الشاعر إرثًا شعريًّا توزّع ما بين القصائد الشعرية التقليدية والموشحات التي ابتكرها بطريقة خاصة تختلف إلى حدٍّ ما في صياغتها عن الموشحات الأندلسية المعروفة، وقد ألف فيها كتابًا سمّاه «دار الطراز في عمل الموشحات» ضمّ موشحاته وعددًا من موشحات الأندلسيين والمغربيين ممن سبقوه أو عاصروه.

ابن سناء الملك من أكبر شعراء مصر في العصر الأيوبي، وقد جاءت هذه المختارات من ديوانه ومن كتابه الآخر «دار الطراز في عمل الموشحات»، واختيرت من موضوعات وأغراض شعرية مختلفة؛ من باب المدح وأخرى من باب التهنئات، وباب الغزل والاعتذار والزهد والوصف والفخر والإخوانيات، ومجموعة أخرى من الموشحات، ممّا يتيح للقارئ التعرف على القيمة الفنية لهذا الشعر.

كان ابن سناء الملك ذا موهبة شعرية فطرية، وكان حافظًا للقرآن الكريم ودارسًا لعلوم اللغة العربية على يد علم من أعلامها آنذاك هو عبدالله بن بري، وتعلّم اللغة الفارسية وظهر ذلك في خرجات موشحاته التي ضمّت هذه المختارات عددًا منها ومن ديوانه الشعري الذي يذكر محقّقه محمد إبراهيم نصر في تقديمه له بأن عدد أبياته بلغت نحو ثمانية آلاف بيت.. كما يذكر أيضًا في هذا التقديم

أن القاضي الفاضل استقدمه إلى الشام حيث قلّده منصبًا رفيعًا في ديوان الإنشاء لإعجابه بشعره.

ومن الجدير بالذكر أن الشعر في العصر الأيوبي قد واكب وقائع الحروب الصليبية على مصر وبلاد الشام وشهد احتلال الصليبيين لبيت المقدس، كما واكب هذا الشعر أيضًا وقائع انتصارات الجيوش العربية الإسلامية على الصليبيين في مراحل مختلفة من الحروب الصليبية والتي توّجها القائد الكبير السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله بانتصاره على الصليبيين في معركة حطين حيث تغنَّى الشعراء بهذا النصر العظيم وخلّدوه.

نأمل أن يجد القارئ لهذه المختارات الشعرية ما يفيده ويمتعه.

والله ولي التوفيق،،

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 21 جمادى الآخرة 1444 هـ

الموافق 14 يناير 2023 م

****

المقدمة

عاش ابن سناء الملك معظم حياته في القرن السادس الهجري إذ ولد في منتصفه وتوفي في العقد الأول من القرن السابع الهجري.

وفي هذه المدة التي عايشها الشاعر شهد الدولة الأيوبية وهي في عزّ قوّتها وازدهارها على يد مؤسسها صلاح الدين الأيوبي كما شهد بدء تفكك هذه الدولة والتنازع بين أمرائها مما أدى في الأخير إلى انهيار هذه الدولة وانتقال السلطة من الأمراء إلى العبيد والأرقاء.

وشهد عصر ابن سناء الملك الحروب الصليبية وهي في ذروتها، وكان الصليبيون قد أسسوا إمارات متعددة في بلاد الشام، وكانت المعارك بين أمراء بلاد الشام والصليبيين متصاعدة، حتى أتى صلاح الدين واستطاع أن يوحد مصر مع بلاد الشام وهي ساحة المواجهة ويلحق الهزيمة بالصليبيين في أضخم معركة شهدها الصراع، وهي معركة حطين، ثم يتقدّم بعدها ليسترجع المدينة المقدسة القدس، ولكن استنفار أوربا أقصى مقاتليها لتقذف بهم إلى المعركة، وطول مدة الصراع التي أنهكت الطرف الأيوبي اضطر صلاح الدين في آخر حياته إلى أن يهادن الصليبيين ويتخلى لهم عن بعض الأماكن.

في هذا المناخ من الصراع نشأ ابن سناء الملك في أسرة لها فضل من الثروة والنفوذ، وألم بعلوم عصره في القاهرة والإسكندرية فحفظ القرآن الكريم،

ودرس الحديث النبوي، وعلوم اللغة العربية وآدابها. وهي الثقافة التقليدية التي كانت متاحة في عصره، وبالإضافة إلى ذلك أتقن اللغة الفارسية ولا نجد لهذه اللغة أي أثر في شعره، سوى استخدام بعض الخرجات الفارسية في موشحاته.

ومن الشخصيات الأدبية الذي كان لها التأثير الأكبر في أدبه وفي حياته شخصية القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي وزعيم كتاب النثر في عصره، فقد كان ابن سناء الملك بمثابة التلميذ له، وكان لمساندة القاضي الفاضل له وتشجيعه له في شعره أثر كبير في أدبه، فقد احتذى الطريق الذي سار فيه القاضي الفاضل في التعامل مع اللغة وفي كتابة نثره وشعره، وسعى له القاضي الفاضل فعينه في ديوان الرسائل مساعدًا له، وكان دائم التواصل مع القاضي الفاضل أثناء سفره يعرض عليه قصائده ويستمع إلى نقده وتعليقاته، واختص ابن سناء الملك القاضي الفاضل بمعظم مدائحه، ومدح ملوك عصره وأمراءه، وكان المدح هو الغالب على شعره، وارتسمت في شعره ملامح عصره بكل ما فيه من فتوة وضعف، فصوَّر في شعره المعارك التي لم تهدأ طوال هذا العصر، وأشاد بالمجاهدين وهم يفدون الوطن بدمائهم، ولكن في مقابل هذا الوجه الزاهي هناك وجه آخر مناقض إذ نجد صور اللهو والمجون في أكثر تجلياتها عريًا وبذاءة تحتل مساحة واسعة من ديوانه، من خمريات، وغزل بالمذكر، ولهو بالجواري والغلمان، وصراحة بالغة في مفردات الجنس.

ولكن إلى جانب شعره الذي كان في مستوى عصره الذي لم يعد له وقد انكفأ على نفسه في مواجهة الغزو الخارجي، أي لمحة من الإبداع والابتكار، وقنع الشعراء بما وجدوه أمامهم يعيدونه ويكررونه، وأصبح الشعر صناعة لفظية.

ولكن كان لابن سناء الملك جانب آخر في أدبه، إذ حاول أن يوطّن فنّ الموشحات الذي نشأ في الأندلس في بلده، وأن يكون له نصيب من تنظير هذا الفن والكشف عن آليات بنائه ومحاولة التجديد في بعض صوره مما أعطاه الريادة في تأصيل هذا الفن في مشرق الوطن العربي بعد أن كان خاصًا بمغربه.

وإذا كان ابن سناء الملك قد أتى إلى الشعر وهو في شيخوخته ورضي أن يحافظ على هذا الوضع ويبقى في إطاره فإنه بالرغم من هذا الاستسلام إلى ما هو كائن، يعد ابن سناء الملك أبرز شعراء القرن السادس الهجري، وأمير شعراء الموشحات في المشرق.

ماجد الحكواتي

الكويت في 21 جمادى الآخرة 1444 هـ

الموافق 14 يناير 2023 م

****

باب المدح

(1)

من شعره في مدح الملك الناصر صلاح الدين[1] في 27 من صفر سنة 579هـ بمناسبة فتح حلب بعد أن عجز عماد الدين زنكي واليها عن الدفاع عنها، فهنأه الشعراءُ بهذا الفتح، وفي هذا قال ابن سناء الملك[2]:

[البسيط]

بدولة التُّركِ عزَّت ملَّةُ العربِ
وبابن أَيّوبَ ذلَّت شيعةُ الصُّلُبِ
وفي زمانِ ابن أَيوبٍ غَدتْ حلبٌ
من أَرض مصرَ وعادت مصرُ من حلبِ
ولابن أَيّوبَ دانت كُلُّ مملكةٍ
بالصَّفْح والصُّلحِ أَو بالْحربِ والحَرَبِ
مظفَّرُ النَّصرِ منعوتٌ بهمته
إلى العزائِم مدلولٌ على الغلَبِ
والدَّهرُ بالقَدرِ المحتومِ يَخْدُمُه
والأَرضُ بالخلقِ والأَفلاكُ بالشُّهب
ويَجتلي الخلقُ من راياتهِ أَبدًا
مبيضَّةَ النَّصرِ من مصفرَّة العَذَب

---

(1) الملك الناصر صلاح الدين، يوسف بن أيوب بن شاذي، (532 - 589هـ/ 1138 - 1193م).

(2) ديوان ابن سناء الملك، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1969، ص 1.

إِنَّ الـعـواصـمَ كـانـت أيّ عـاصـمـةٍ
مـعـصـومـةً بـتـعـالـيـهـا عـن الـرُّتَـبِ
مـا دارَ قـطُّ عـلـيـهـا دورُ دائـرةٍ
كـلاَّ، وَلاَ وَاصَـلَـتْـهـا نـوبـةُ الـنُّـوبِ
لـو رامَـهـا الـدَّهـرُ لـم يـظـفَـرْ بِـبُـغْـيَـتـهِ
ولَـوْ رمـاهَـا بِـقـوسِ الأُفْـقِ لـم يُـصـب
ولـوْ أَتَـى أَسـدُ الأَبْـراجِ مُـنْـتَـصـرًا
خَـارتْ قـوائـمـهُ عـنـهـا ولـم يَـثِـبِ
جَـلـيـسـةُ الـنَّـجْـمِ فـي أَعْـلَـى مـنـازِلـه
وطَـالمـا غَـابَ عـنْـهـا وهْـي لَـمْ تَـغِـبِ
تُـلـقِـي إذا عـطـشـت والـبـرقُ أَرشـيـةٌ
كـواكـبَ الـدَّلـو فـي بـئـرٍ مـن السُّـحـب
كُـلُّ الـقـلاعِ تـرومُ الـسُّـحـبَ فـي صَـعَـدٍ
إِلاَّ الـعـواصـمَ تَـبْـغِـي الـسُّـحـبَ فـي صَـبَـب
حـتَّـى أَتَـى مَـنْ مَـنـالُ الـنَّـجْـمِ مَـطْـلـبُـه
يـا طـالـبَ الـنَّـجـم قَـدْ أَوْغَـلْـتَ فـي الـطَّـلَـب
مَـنْ لـو أَبَـى الـفَـلَـكُ الـدَّوارُ طـاعـتَـه
لَـصـيَّـر الـرأْسَ مـنـه مـوضـعَ الـذَّنَـب
أَتَـى إِلـيـهـا يـقـودُ الـبـحـرَ مُـلـتَـطِـمًـا
والـبِـيـضُ كـالمَـوْجِ والـبَـيْـضَـاتُ كـالْـحـبَـبِ
تـبـدو الـفـوارسُ مـنـه فـي سَـوابِـغِـهـا
بـين الـنـقـيـضـين مـن مـاءٍ ومـن لـهـبِ

مُسْتَلْئِمين ولولا أَنَّهم حَفِظُوا
عوائدَ الحْربِ لاسْتَغْنَوا عن اليَلَبِ
جِمَالُهم من مَغازيهم إذا قَفَلوا
حَمَّالةُ السَّبْيِ لا حمّالةُ الحَطبِ
فطافَ منها بركنٍ لا يقبِّلهُ
إلا أَسنَّةُ أَطرافِ القَنا السُّلُبِ
وحلَّ من حولِها الأَقْصى على فلكٍ
ودَارَ من بُرجِها الأَعلى على قُطُبِ
وَمَانَعَتْه كمعشوقٍ تمنُّعُه
أَحلى من الشَّهدِ أَو أَحْلَى من الضَّرَبِ
فمرَّ عنها بلا غيظٍ ولا حَنَقٍ
وسار عنها بلا حِقْدٍ ولا غَضَب
تطوي البلادَ وأَهليها كتائبُه
طيًّا كما طَوتِ الكتَّابُ للكُتُبِ
وافى الفراتَ فأَلفى فيه ذا لَجَبٍ
يظلُّ يهزأُ مِنْ تَيَّارِه اللَّجِبِ
رمَت به الجُرْدُ في التَّيارِ أَنْفسَها
فعوْمُها فيه كالتقريب والخَبَب
لم ترضَ بالسُّفنِ أَن تَغْدو حواملَها
فعزُّها ليس يَرْضى ذِلَّة الخَشب
وكان علَّمها قطعَ الفراتِ به
تعلُّمَ العومِ في بحر الدَّم السَّرب

وجـــاوزتْـــه وأَبْـــقَـــى مـــن فـواقِـعـه
دُرًّا تـرصَّـعَ فـوق الـعَـرف والـلَّـبَـبِ
إِلـــى بـــلادٍ أَجـابـت قـبـلـمـا دُعـيـت
لـلـخـاطـبـين ولـــولا الخـــوفُ لـم تُجـب
لـو لـم تُجِـب يُـوسـفًـا مـن قـبلِ دعْـوَتـهِ
لَـعـادَ عـامِـرُهـا كـالجـوسـق الخَـــرِبِ
خَـافَـتْ وخـــافَ وفـــرَّ المـالـكـون لَـهـا
فـالْمُـدْنُ فـي رَهَـب والـقـومُ فـي هَـرب
ثـم اسـتـجـابَـتْ فـلا حـصـنٌ بمـمـتـنعٍ
مِـنْـهـا عـلـيـهِ ولا مُـلْـكٌ بِمُـحـتَـجِـبِ
وأَصـبَـحـوا مِـنْـه فـي هَـمٍّ وصبَّحـهـم
وهُـمْ سُـكَـارَى بـكـأْسِ الـلَّـهـوِ والـطَّـربِ
تـفـرَّغُـوا لـنـعـيـم الـعـيـشِ واشْـتـغـلـوا
عـن الـثُّـغـورِ بـلـثـمِ الـثَّـغْـرِ والـشَّـنَـبِ
أَرضُ الجـزيـرةِ لـم تـظـفَـرْ ممـالِـكُـهـا
بمـالـكٍ فـطِـنٍ أَو سَـائِـسٍ دَرِبِ
ممـالـكٌ لـم يُـدَبِّـرْهـا مـدبِّـرُهـا
إِلا بـرأْيِ خَـصِـيٍّ أَو بـعَـقـلِ صَـبِـي
حـتَّـى أَتـاهـا صـلاحُ الـدِّيـنِ فـانْـصَـلَـحَـتْ
مـن الـفـسـادِ كَـمـا صـحَّـتْ مِـنَ الـوَصَـبِ
واسـتـعـمـلَ الجِـدَّ فـيـهـا غـيـرَ مـكـتـرثٍ
بـالجَـدِّ، حـتـى كـأَنَّ الجِـدَّ كـالـلَّـعِـب

وقـد حَـواهـا وأَعْـطـى بـعـضَـهـا هِـبـةً
فـهـوَ الَّـذِي يَـهَـبُ الـدُّنْـيَـا ولـم يَـهَـب
يُـعـطـي الـذي أُخِـذت مـنـه ممـالـكُـه
وقـد يَمُـنُّ عـلـى المـسـلـوبِ بـالسَّـلـب
ويمـنـعُ المـدنَ فـي الجَـدْوى لسـائِـلـه
كـمَـا تـرفَّـعَ فـي الجـدْوى عـن الـذَّهـب
ومـذ رأَتْ صـدَّه عـن رَبْـعـهـا حلـبٌ
ووصـلَـه بـبـلادٍ حُـلْـوةِ الحَـلَـب
غـارَتْ عـلـيـه ومـدَّتْ كـفَّ مـفْـتـقِـرٍ
مِـنْـهـا إِلـيـه وأَبْـدَت وجـهَ مُـكْـتَـئِـب
واسـتـعـطـفَـتْـه فَـوافَـتْـهـا عـواطـفُـه
وأَكـثـبَ الـصُّـلْـحَ إِذ نـادَتْـه عـن كَـثَـبِ
وحـلَّ مِـنْـهـا بـأُفْـقٍ غـيـرِ منـخـفـضٍ
لـلـصَّـاعـديـن وبُـرجٍ غـيـرِ مُـنـقـلِـب
فـتـحُ الـفـتـوحِ بـلا مَـيْـنٍ وصـاحـبُـه
مَـلْـكُ المـلـوكِ ومَـوْلاهـا بِـلا كَـذِبِ
ومُـعـجـزٍ كَـمْ أَتـانـا مـنـه مُـشْـبِـهُـه
فـصـارَ لا عـجـبًا مـن فَـضْـلـهِ الـعَـجَـبِ
تَـهـنَّ بـالـفـتـحِ يـا أَوْلَـى الأَنـامِ بـه
فـالـفـتـحُ إِرْثُـك عَـنْ آبـائِـك النُّـجُـبِ
وافـخَـرْ فَـفَـتْـحُـك ذا فـخـرٌ لمـفـتـخـرٍ
ذُخْـرٌ لمـدَّخِـرٍ كـسـبٌ لمـكـتَـسـبِ

بـكَ الـعـواصـمُ طَـابَـت بـعـدمـا خَـبُـثَـتْ

بِمَـالِـكِـيـهـا، ولـــولاَ أَنْـــتَ لـم تَـطِـبِ

فـلـيـت كـــلَّ صـبـاح ذرَّ شَـــارِقُـــه

فـــداءُ لـيـلِ فَـتَـى الـفـتـيـانِ فـي حَـلَـبِ

إنِّـــي أُحِـــبُّ بِـــلادًا أَنـــت سـاكـنُـهـا

وسـاكـنِـيـهـا ولـيـسُـوا مِـنْ ذَوِي نَسَبي

إلاَّ لأَنَّـــكَ قـد أَصـبـحـتَ مـالـكَـهـا

دون الأَنـــامِ، وهـــل حُـــبٌّ بـلا سَـبَـب

فـجـود كـفِّـكَ ذُخْـــرٌ فـي يَـــدِي ويـدي

وحُـــبُّ بـيـتـكِ إِرْثِـــي عـن أَبِـــي فَـأَبِـي

ألـهـى مـديـحُـك شِـعْـري عـن تَـغَـزُّلِـه

فـجـاءَ مـقـتـضَـبًـا فـي إِثـــرِ مُـقْـتَـضَـبِ

فـلـم أَقُـــلْ فـيـه لاَ أَنَّ الـصـبـابـةَ لِـي

يـــومَ الـرَّحـيـلِ ولا أَنَّ المـلـيـحـةَ بِـي

****

(2)

وقال يمدح القاضي الفاضل[1] ويهنئه بفتح عسقلان في سنة 583هـ[2]:

[الطويل]

سـرىَ طيفُه – لا – بَـلْ سَـرى بـي سَـرابُـهُ
وقَــد طَــارَ مِــنْ وَكْــرِ الـظـلام غُـرابُـهُ
ومـا كـان يَــدْرِي الـطَّـيـفُ قـبـلَ طُـروقـهِ
بــأَنَّ انْـفِـتـاحَ الجَـفْـنِ مِـنِّـي حِـجَـابُـه
لــئِــنْ سَــرَّ نَـفْـسـي قُــرْبُــه ودُنُــوُّه
لَـقـد سَـاءَهـا تَـشْـتِـيـتُـه واغْـتِـرابُـه
ولـولا انْـغِـمـارُ الـقَـلْـبِ فـي غَـمـرةِ الـهَـوى
لــكــانَ سَــــواءً نــأْيُــه واقْــتِــرابُــه
أَتَــتْ مـع نِـقْـسِ الـلَّـيـلِ صـفـحـةُ وجـهـه
فـقـلـتُ: حـبـيـبٌ قـد أَتـانِـي كِـتَـابُـه
وأَمْــلَــى عِـتـابًـا يُـسـتَـطـابُ فـلَـيْـتَـنـي
أَطَـلْـتُ ذُنُــوبِــي كَــيْ يَـطـولَ عِـتَـابُـه
وَبــي رشَــأٌ حُـلْـوُ الـشَّـمـائِـلِ أَهْـيَـفٌ
ويَـفْـتِــنُ قَـلْـبِـي إِنْ خَــلاَ بِــي خِـلاَبُـه

(1) القاضي الفاضل: عبدالرحيم البيساني الكاتب ذو الطريقة الفاضلية، كان وزيرًا لصلاح الدين الأيوبي، ومشرفًا على ديوان الإنشاء، وقد اتصل به الشاعر منذ نعومة أظفاره لأنه كان صديق والده.
(2) ديوان ابن سناء الملك، ص 16.

ويَـنْـثُـر ضَـمِّـي فـوقَ نَـهـدَيْـه عِـقـدَه

ويُمْـحَـى بِـلَـثْـمـي مِـنْ يَـدَيْـه خِـضَـابُـه

وقَـد عَـقَّ صَـبْـري حسـنُـه لاَ تمائِـمـي

وكـم مَـسَّ جـلْـدي مِـسْـكُـه لا تُـرابُـه

وذلِـــكَ بـــدرٌ والـــهـــلالُ لِـثَـامُـه

فـلا تَحْـسَـبُـوا أَنَّ الـهـلاَلَ نِـقَـابُـه

وفـي غَـزَلِـي ذكـرُ الـعُـذَيـبِ وبـارقٍ

ومـا ذَاك إلا ثَـغْـرُه ورُضَـابُـه

وذاك رُضـــابٌ لـلـرحـيـق اعـتـزاؤه

وذَلـــكَ ثَـغْـر لـلـحَـبَـاب انْـتِـسَـابُـه

وفـي الـقـلـبِ شَـوقٌ كـاد مـن ذكـرِه فمي

تُحـــرِّقُـــه نِـيـــرَانُـــه والْـتِـهـابُـه

إلـى غـائِـبٍ إنْ جَـاءَنـي عـنـه سـائـلٌ

فـسـائِـلُ دَمْـــع المُـقْـلَـتـين جَـوابُـه

لـقَـدْ شَـقِـيَـتْ بِـالـبُـعْـدِ مِـنْـه رِبَـاعُـه

كَـمَـا سَـعِـدتْ بـالـقُـرْب مِـنـه رِكَـابُـه

وإنَّ حُـــدَا حَـــادِي الحـبـيـبِ غِـنَـاؤُه

وإنَّ صَـدى ربْـع الحـبـيـبِ انْـتِـحـابُـه

إذا اسْـتَـبـطـأَ المـشـتـاقُ أَوْب حبيبِه

فَـمـنْ لـي بمـحـبـوبٍ يُـرَجَّـى إيـابُـه

يَـــذُمُّ الـلَّـيـالـي وهـــيْ أَهْـــلٌ لِـذَمِّـه
فُـــؤَادٌ دَهَـــاه ظُـلـمـهـا واكْـتِـئَـابُـه
عـلـى أَنَّ شـكـوى المـــرءِ لـلـدَّهـرِ عـادةٌ
وشـــكـــواهُ عِـنْـدي لـلـخَـصـاصـةِ عـابُـه
ومـــن هـــابَ مـن هـــذا الأَنـــامِ زمـانَـه
فـقـلْ لِـزمـانـي إِنَّـنـي لا أَهَـابُـه
وسِـيَّـانَ عِـنـدي صـابُ حَـالـي وشـهـدُه
عـلـى غـيـر مَـحْـلٍ منـه أَو صـابَ صَـابُـه
وكـيـف يَـخـافُ الـفـقـرَ أَوْ يَـرهـبُ الـرَّدى
فـتًـى مِـنْ يـدَيْ عـبـدِ الـرَّحـيـمِ اكتسابُه
فَـمَـنْ كـان مِـثْـلـي آويًـا فـي جَـنَـابِـه
فـيـا عُـذْرَ دهـرٍ قَـدْ نَـبَـا عَـنْـه نَـابُـه
وقـد صُـحِّـفَـتْ جـنَّـاتُـه أَو جِـنَـانُـه
فـقـيـل عـلـى رَغْـمِ الحَـسـودِ جَـنَـابُـه
ومَـا بَـرِحَـتْ تُـرخَـى عَـلـيَّ ظِـلالُـه
كَـمـا أَنَّـهـا تُـزْجَـى إِلـيّ سَـحـابُـه
وكَـمْ مـن كَـذوبٍ رَامَ تـغـيـيـر رَأْيِـه
عـلـيَّ فـلـم تَـنْـفُـق عَـلـيـه كِـذَابُـه
ولا نُـهْـنِـهَـت بـالـزُّور عَـنْـه أَنَـاتُـه
ولا زُلْـزِلَـت لـلـحـلـمِ مِـنْـه هِـضَـابُـه

وحَـــالَ مُـحـالاً لـيس يَـــدْري جَـهـالَـةً

بـــأَنَّ لـنـا رَبَّـــا عَـلَـيْـه حِـسَـابُـه

يُـعَـجِّـلُ مِـــنْ تـكـذيـبِـه مِـنْـه خَـجْـلَـةٌ

سـيـعـقُـبـهـا عَـمَّـا قَـلِـيـلٍ عِـقَـابُـه

فَـبُـورِكَ مَـنْ مَـا زالَ عِـنْـدي نعيمُه

كَـمـا عِـنْـدكُـمْ يَـا حـاسـديـن عَـذَابُـه

وإِنْ قُـلـتُ عِـنْـدِي بـعضُ أَخْـبـارِ مَجدِه

فَـمـنـصِـبُـه الـــرَّاوِي لـهـا ونِـصـابُـه

وَمَـــا ارْتَـــابَ فـي عـلـيـائِـه قَـطُّ حَـاسِـدٌ

إِلـــى أَنْ يـقـولُـوا زالَ عَـنْـه ارْتِـيـابُـه

يُـــزَفُّ لـــه مِـــن كُـــلِّ راوٍ مَـديـحُـه

ويُـــهـــدَى لـــه مـــن كُـــلِّ رأْيٍ صَـوابُـه

ومـا الـفـضْـلُ إِلاَّ مـا حَـوَتْـهُ طُـروسُـه

ولاَ المَـجْـدُ إِلاَّ مـا حَـوَتْـه ثِـيَـابُـه

إِلـــى حَـــوْزَةِ الـعَـافـين تَـهـوِي هِـبَـاتُـه

وَفـــي قِـمَّـةِ الجَـــوْزَاءِ تَـعْـلُـو قِـبَـابُـه

أَضَـــرَّ بـــإِفْـــراطِ الـــنَّـــوالِ عُـفَـاتَـه

فَـرَغْـبَـتُـهـم فِـــي أَنْ تَـغِـبَّ رِغَـابُـه

وأَغْـنـــى وأَقْـنَـــى الـقَـاصِـدِيـن لِـبَـابِـه

فَـجـاءَ لـه مـن كُـلِّ شُـكـرٍ لُـبـابُـه

فــلا مُــلــتــجٍ إلا عــلــيــه اتِّــكــالُــه

ولا مُـــــــرتَجٍ إلا إلـــيـــه مَـــآبُـــه

أَرى الـدَّهْـرَ بـحـرًا وهْـو فـي الـبحـر دُرُّه

وكُـــلُّ الـــورَى حَـصْـبـاؤه وحَـبَـابُـه

يَـــقِـــلُّ لـــه أَنَّ الـبـسـيـطـةَ دَارُه

وأَنَّ نجـــومَ الأُفْـــقِ فـيـهـا صِـحَـابُـه

وَمـــا هُـــو إلاَّ لِـلـفـضَـائِـلِ أُفْـقُـهـا

وخـــاطـــرُه الـــوقَّـــادُ فِـيـهـا شِـهـابُـه

تُـفَـلِّـلُ عَـــزْمـــاتِ الـكَـتـائِـب كُـتْـبُـه

ويُـذْهِـبُ أَزْمَـــاتِ الخُـطُـوبِ خِـطَـابُـه

يُـفـرِّسُ أَلْـبـابَ الـرِّجـال كَـلامُـه

فـمـا هـو إلاَّ الـلَّـيـثُ والـطِّـرسُ غَـابُـه

أَمَـــوْلاَيَ أَشْـكُـو جَـوْرَ دَهـرٍ مُـبَـرِّحٍ

تَـطَـاولَ بِـي لَمَّـا انْـتَـشَـى بـي انْـتشَـابُـه

أَتَـانِـيَ لَـكِـن أَيْـن مِـنِّـي رُجُـوعُـه

وأَقْـبَـلَ لـكـن أَيْـن مِـنِّـي ذَهَـابُـه

قَـسـا قَـلْـبُ دَهْـرِي بَـعْـد لـينٍ أَلِـفْـتُـه

وَمَـنْ لِـي بِـدَهـرٍ لاَ يُـخَـافُ انْـقِـلابُـه

وإِنْ لَـمْ تَجُـدْ لِـي مِـنْ يَـدَيْـك سَـحـابَـةٌ

فَـبَـيْـنـي وبَـيْنَ الْـهَـالِـكـين تَـشَـابُـه

وإِنِّـــيَ مَـــنْ كَـسْـبُ المَـعَـالـي مُـــرادُه

وغَـيـرُ جَـــزِيـــلَاتِ الـعَـطَـايَـا طِـلَابُـه

أَنـــا الحَـائـرُ الـسَّـــاري وأَنْـــت شِـهَـابُـه

أَو الحـائـمُ الـصَّـــادِي ومِـنْـك شَـرَابُـه

فـكـمْ حـاجـةٍ لـي ضـــاع مِـنِّـي نَجـاحُـهـا

وكـم أَمَـــلٍ لـي طـــالَ مِـنِّـي ارْتِـقَـابُـه

ومـــا الـــدَّهْـــرُ إِلا خـــادِمٌ أَنـــتَ ربُّـه

ولا الـــرِّزْق إِلا مَـنـــزِلٌ أَنْـــتَ بَـابُـه

****

(3)

وقال عند مسيره إلى الشام يمدح أباه[1] ويودعه[2]:

[المتقارب]

أَنـــــاخَ بـهـا الـــبـــارقُ المـمـطِـرُ
ومـــــرَّ الـنـسـيـمُ بِـهـا يـخْـطـرُ
وأَحْـيَـا صَـبـيـحُ الْحَـيَـا نَـشْـرَهَـا
فَـــأَصْـــبـــحَ مَـيِّـتُـهُ يُـنْـشَـرُ
وأَضـــرمَـــتِ الـنَّـارَ مـن فَـوقِـهـا
فـفـاح لـنـا الـنَّـدُّ والْـعَـنْـبـرُ
ونـبَّـه مِـنـهـا صـهـيـلُ الـرعـودِ
لـواحـظَ مـا خِـلْـتُـهـا تَـسْـهَـر
وطـــاش الـنَّـبـاتُ فـهـل رَاقَـــه
لِـيـركـبَـه ذَلِـــك الأَشْـــقَـــر
ومـــا حـمـلـت مِـــنَّـــةً لـلـسَّـحـا
بِ إِلاَّ ومِـنَّـتُـهـا أَكْـبَـرُ
مـتـى جـــاءَ مِـــنْ دمْـعِـه زائـرٌ
تـلـقَّـاهُ مـن زهْـرِهـا مَـحـجِـرُ
ولـــو حـــلَّ مـن رَغْـدِهـا خـاطِـبٌ
لَـــوافَـــاهُ مِـــن سَـــرْوِهـا مِـنْـبَـرُ

---

(1) القاضي أبو الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبو عبدالله محمد بن هبة الله بن محمد السعدي.
(2) ديوان ابن سناء الملك، ص 138.

فـكـم مـقـلـةٍ ثَـمَّ مـفْـضُـوضَـةٍ
وكَـمْ وَجْـنَـةٍ بـالْحـيَـا تَـقْـطـرُ
وكَـمْ مـن غـديـرٍ غـدَا صَـفْـوُه
بـأَسـرارِ حَـصْـبـائـهِ يُـخْـبِـرُ
وكَـمْ قَـدْ نَـهـاه هـبـوبُ الـرِّيـاحِ
فـظَـلَّ بـتـجـعـيـده يَـسْـتُـر
وكـم فـيـه لـلـقـطـرِ مِـنْ خُـوذةٍ
تَـدُلُّ عـلَـى أَنَّـه مِـغْـفَـر
فـيـا روضـةَ الحـسـنِ إِنِّـي شُـغِـلـتُ
بـروضـةِ حُـسـنٍ لِـمـن يَـنْـظُـر
ويـا أَخْـضَـر الـلَّـونِ قـد ضِـعْـتُ فـيكَ
كـمَـا ضـاعَ شَـارِبُـك الأَخْـضَـر
أَنـا لا أَبـيُن لِـفَـرْط الـسِّـقـامِ
وذَاكَ بِـلـونِـكَ لاَ يَـظْـهـر
تَـخـطَّـرَ والـرُّمْـحُ فـي كَـفِّـه
فـلـم يُـدرَ أَيُّـهـمـا الأَسْـمـرُ
ومـرَّ الـغـزالُ عـلـى إِثْـره
فـلـم نَـدْرِ أَيُّـهـمـا الجُـؤذُر
وأَلـبـسَ خـاتمـه خَـصْـره
فـقـد صَـحَّ مِـنْ خَـصْـرِه الخِـنْـصـرُ
ولـمـا تَـعَـمَّـمَ قـام الـدَّلـيْـلُ
عـلـى نَـقْـصِ مَـنْ زِيُّـهـا المِـعْـجَـرُ

وحسبُك أَنَّ لها مِعْجَرًا
وأَسْعَدُ منه له مِئْزرُ
وقدْ غار مِنْه عَلى أَنَّنِي
وغيْرِيَ مِنْ قبْله أَغْيَر
فيا مَعْدِنًا دُرُّه سَالِمٌ
ويا روضةً وَرْدُها أَحْمَر
ويا مَن بِفِيه لَنا سُكَّرٌ
ولكِنَّه سُكَّرٌ يُسْكِر
يحلِّلُ جَهْرًا عقودَ الْعُقُولِ
فمِنْ أَجْلِه حُرِّمَ المُسكِرُ
أَصومُ عَنِ الوَصْلِ دهْرِي وقد
رأَيتُ الهِلالَ ولاَ أُفْطِر
وأَنتَ الهلالُ وأَنْتَ الهلاَكُ
بِقتْلِيَ تُفْتِي ولا تفْتُر
أَما خِفْتَ مِنْ قِصَّتِي أَنْ تشِيعَ
فَيُكتَبَ في حَالِها مَحْضر
وسُوقُ المحَاضِرِ في ذا الزَّمانِ
كما أَنْت يا بَائِعي تخْسَر
وأَعجبُ مِنْ كُلِّ شيءٍ جَرَى
عجوزٌ تبنَّى بِها مُعْصِر
وهذي القضيَّةُ مَعْكُوسَةٌ
أَرَى العَقْلَ مِنْ مِثْلها يَنْفِرُ

فـواصَـلْـتُـهـا فـي كـــؤوسٍ ظـنـنْـتُ
بِـــهـــا أَنَّ حَـــارِسَـــهـــا قـيْـصَـر
وأَحـــرقـــتُ مِـنْـهـا ظَـــلامَ الـدُّجَـى
لمـــا صـــحَّ مِـــنْ أَنَّـــــه يُـكْـفَـر
وبـــــات نـــديمـــيَ لاَ لـيْـلُـه
يَـــطـــولُ ولا شـــربـــه يَـقْـصُـر
وقـــام المـــــؤذِّنُ يَـنْـعـى الـظـلام
فـــهـــذاك يَـنْـعـى وذا يَـنْـعَـرُ
وكـشَّـف عَـنَّـا قِـنـاع الـصَّـبـاح
فـأَسْـفـر لـي وجْـهُـك المسْـفِـرُ
فـلا يـعـجـب الـصُّـبـحُ مِـــنْ نُـــورِه
فـــوجْـــهُ الـــرَّشِـــيـــدِ أَبـــي أَنْـــوَرُ
وأَخـــبـــارُ ســـــؤدَدِه مِـــنْ سَـنـا
هُ أَبْـهـى ومِـــنْ حُـسْـنِـه أَبْـهَـر
هـو الـسَّـيِّـد المـشْـتَـرِي لـلـثَّـنَـا
وَقَـــدْ عَـجِـز الْـقَـومُ أَنْ يَـشْـتَـرُوا
ومـــانِـــحُ مَـــنْ جَـــاءَ يمـتـارُه
فـهـم فـي مـعـالـيـه لـن يمـتـروا
ويـفـتـرّ مَـــدّاحُـــه مـن لُـهـاه
فـهـم فـي المـدائـح لـن يـفـتـروا
وراحـــتُـــه قِـبـلـةُ الآمـلـيَن
عـلَـى أَنَّـــهـــا دِيمَـــةٌ تُمـطِـر

فـبـالجـودِ بَـاطِـنُـهـا مَـشْـرَعٌ
وبـالـلَّـثـم ظَـاهِـرُهـا مَـشـعَـرُ
فـإِنْ شِـئْـتَ قُـلْ إِنَّـه جـنَّـة الـنْـ
ـنـعـيـم ورَاحَـتُـه الـكَـوْثَـر
تُـقـصِّـر إِنْ سـابـقـتْـه الـريـاحُ
وتُـوجَـدُ فـي إِثْـره تَـعْـثُـر
ويُـنْـسـى الـرشـيـدُ بـذكـرِ الـرَّشـيـدِ
ويُـحـقَـر مِـن جـعـفـرٍ جَـعْـفَـرُ
وكـيـف يـسـمُّـونَـه جـعـفـرًا
ومـن فـيـض راحَـتِـهِ أبـحُـر
وكـيـف يَـلُـومُـونَ حُـسَّـادَه
وقَـد حَـسـدَتْ عَـصْـرَه الأَعْـصـرُ
مـن الـقـومِ لا رِفْـدُه لـلـعُـفـا
ةِ يُـحْـصَـى ولا مَـجْـدُه يُـحْـصَـر
فـوفـدهُـمُ مـنـهـمُ مُـربـحٌ
وفـرُّهُـمُ مِـنْـهـمُ مُـخـسِـرُ
بُـدورٌ إِذا انْـتَـسَـبُـوا لـلأَنَـام
فَـزُهْـرُ الـنُّـجـومِ لَـهُـم مَـعْـشَـر
ولا مـثـلُ هـذا الـرئـيـسِ الَّـذِي
عَـلـى كُـلِّ فَـخْـرٍ لـه مَـفْـخَـرُ
ومـنـزلـةٌ أُسُّـهـا فـي الـسُّـهـا
تَـرى الـطَّـرفَ مـن دونـهـا يَـحْـسُـرُ

ونـــفـــسٌ تُـــنـــافِـــس فـــي المـــأْثـــراتِ
وتُـــــؤثِـــــر مـــنـــهـــا الـــــذي يُـــؤْثَـــر
وتُـــــــورِدُ فـــي مَـــنْـــهَـــلِ المـــكـــرُمـــاتِ
وتَـــــصْـــــدُقُ عـــن مـــطـــلـــبٍ يـــصـــدرُ
فِـــــداهُ مِـــــن الـــسُّـــــوءِ أَعْـــــداؤُه
جـــمـــيـــعًـــا عـــلـــى أَنَّـــهـــم أَحْـــقَـــرُ
فـــكـــم قـــــدَّروا الـــوضْـــعَ مِـــن قَـــدْره
وتـــأْبَـــى المـــقـــادِيـــرُ مـــا قَـــــدَّرُوا
فـــحـــلَّـــقَ نَـــحْـــو سَـــمـــــاءِ الْـــعُـــلا
وهُـــــمْ قـــبـــلَ تَحـــلـــيـــقـــهِ قَـــصَّـــرُوا
وإِنـــــي عَـــــزَمْـــــتُ عَـــلـــى سَـــفْـــرةٍ
أَرَى وجـــــهَ إِقْـــبـــالِـــهـــا يُـــسْـــفِـــر
وأَحـــبـــبـــتُ خِـــدمَـــةَ مَـــــنْ دَهْـــرُنـــا
لأَغْـــــراضِـــــه خَـــــــادِمٌ أَصْـــغَـــر
وآثَـــــرتُ صُـــحـــبَـــةَ مـــولـــى الأَنـــــامِ
لأَبْـــلُـــــغَ مِـــنْـــه الَّـــــذِي أُوثِـــــر
ســتَـــغْـــبِـــطُـــنـــي فـــيـــه شَـــمـــسُ الـــضُّـــحـــى
ويَـــحْـــسُـــدنـــي الـــقـــمـــرُ الـــنَّـــيِّـــر
وأُصـــبـــحُ لا عـــيـــشَـــتِـــي عِـــنْـــدَه
تُـــــذَمُّ ولاَ ذِمَّـــــتِـــــي تُـــخـــفَـــرُ
وأُبْـــصِـــــرُ دَهْـــــرِيَ مِـــن ذَنْـــبِـــه
يـــتـــوبُ إِلـــــيّ وَيَـــسْـــتَـــغْـــفِـــر

أَودِّعُ مِـــنْـــكَ الحَـــيَـــا والحـــيـــاةَ
وأُودِعُ قَـلـبـي لَـــظًـــى تَـسْـعَـر
وأَرحـــــــلُ عـــنـــكَ وَلـــــي خَـــاطِـــرٌ
بـــتَـــذْكَـــارِ غَـــيْـــرِكَ لاَ يَـخـطُـر
ومـــن كَـــانَ مِـثْـلـي سَـعَـى فـي الْـبِـلادِ
فـيُـكْـسَـى مِـــنَ الـــعِـــزِّ أَوْ يُـكْـسَـرُ
ومَـــــا مـطـلـبـي غَـيـر نـيـلِ الـعُـلا
ومِـثـلـي عـلَـى مِـثْـلـهـا يُـــعْـــذَرُ
فـــلا تَـنْـسَـنـي مِـــنْ مُـجـابِ الـدُّعـا
فـــإِنِّـــي ولـــيـــدُك يَـــا جَـعْـفَـر

****

(4)

وقال يمدح الملك العادل[1] الأفضل نورالدين[2]:

[الخفيف]

قـمـرٌ بـات بَـيْنَ سَـحْـري ونَـحْـرِي
وخُـيـولُ الـدمـوع بـالـلـثـمِ تجْـري
فـلـكَـم فـرَّقَـتْ دُمـوعِـيَ مـا بَـيْـ
ـنَ ثَـغْـرِه ومَـا بَـيْنَ ثَـغْـري
جَـزعـي فـي الـدُّنـوِّ مـن خـوفِ بُـعـدٍ
وبـكـائِـي فـي الـوصْـلِ مـن خَـوْفِ هَـجْـرِ
فـلـعـمـرُ الـحـبـيـبِ إنَّ حـبـيـبَ الـنْـ
ـنَـفْـسِ أَشْـهـى لـلـنَّـفْـسِ مِـنْ أُمِّ عَـمْـرِو
وفَـدى مَـنـزلاً عـلـى الـنـيـل فَـرْدًا
كُـلُّ ربـعٍ لآلِ مـيّـةَ قَـفْـرِ
كَـلَـفِـي قَـطُّ لَـمْ يُـسـافِـرْ ومَـا خَـفْـ
ـفَ رِكَـابُ الـغَـرامِ إلا لمـصـرِ
ومُـنـى الـنَّـفْـسِ عـنـد ظـبـيٍ غـريـرٍ
عـادَ بـدْرًا ومـا حَـوى سِـنَّ بَـدْر
مـا سَـمِـعْـنـا بـالـبـدرِ يَـكْـمـلُ فـي عَـشْـ
ـرٍ ولـم تَـأْتِ أَربـعٌ بَـعْـدَ عَـشْـر

(1) الملك العادل نورالدين أبوالقاسم محمود بن عماد الدين زنكي (511 - 569هـ/ 1118 - 1174هـ).
(2) ديوان ابن سناء الملك، ص 162.

إِنـــنـــي مُمْـــلِـــقٌ مـــن الـــصَّـــبـــرِ عَـــنْـــه
وفُـــــؤادي مـــن الـــصَّـــبـــابَـــة مُـــثْـــري
ولَـــئِـــن صـــدَّ رُبَّ لـــيـــلـــةِ وَصْـــلٍ
رَجَـــعـــت مـــن سَـــنـــاهُ لـــيـــلـــةَ بَـــدْرِ
لَـــم تُـــــرَعْ لَـــيْـــلَـــتـــي بـــفـــجـــرِ مُـــحـــيّـــا
هُ ولـــكِـــنْ تُـــــراعُ مـــنـــه بِـــظُـــهـــر
فـــشَـــرِبْـــنَـــا مِـــن المُـــدامَـــة شَـــفْـــعًـــا
أَخـــلـــصَ الـــقـــلـــبَ مِـــن جَـــوى كُـــلِّ وَتْـــر
كـــنـــتُ مـــن رِيـــقـــهِ وعـــيْـــنَـــيْـــه سَـــكـــرا
نًـــا فـــلّـــمـــا شـــرِبْـــتُـــهـــا زَالَ سُـــكْـــرِي
فـــتـــدَاويـــتُ مـــن خُـــمـــاري وقـــد قِـــيـــ
ـــلَ دَواءُ الخُـــمـــار فـــي شُـــرب خمر
صـــنـــتُ خَـــمْـــرَ الـــلِّـــحـــاظِ فـــي كَـــأْسِ جَـــفْـــنٍ
فـــيـــه كَـــسْـــرٌ لـــقـــد أَتـــيـــت بِـــسِـــحْـــر
يـــا أَمـــيـــرًا عـــلـــى الـــقـــلـــوبِ مـــتـــى تـــنْـــ
ـــظُـــر فـــي قِـــصَّـــتـــي وتـــكْـــشِـــفُ أَمْـــرِي
لـــك مـــنِّـــي وصْـــفِـــي وذَمِّـــــي ولـــلأَفـــ
ـــضـــلِ مـــولَـــى الأَنـــامِ مَـــدْحِـــي وشُـــكْـــري
فـــيـــك أَنـــفـــقـــتُ بـــعـــضَ نَـــظْـــمـــي وإِنِّـــي
مـــنـــفِـــقٌ فـــيـــه كـــلَّ نـــظـــمـــي ونَـــثْـــرِي
مَـــلِـــكٌ إِســـمُـــه عـــلـــيٌّ ولـــكـــن
كـــيـــدُه فـــي حـــروبـــه كـــيـــدُ عَـــمْـــرِو

لـــيـــسَ يـــنـــفَـــكُّ بـــين فـــتـــكٍ وفـــتـــحٍ
حـــينَ يَـــخْـــتَـــال بـــينَ نَـــصْـــلٍ ونَـــصْـــر
وجْـــهُـــه الـــبـــدْرُ فـــي الحـــروب ولا تعـ
ـــجَـــبُ إذ كـــان يـــومُـــه يـــومَ بَـــدْرِ
مـــزجَ الْـــبَـــأْسَ بـــالـــنَّـــدى فـــتـــرى الأَقْـــ
ـــــدارَ تَجْـــــري مِـــنْـــه بـــنـــفـــعٍ وضُـــرِّ
يـــومُـــه فـــي الـــنَّـــدى لمـــن يَـــرْتَجـــيـــه
عـــيـــدُ فـــطـــرٍ وفـــي الـــعِـــدا عـــيـــدُ نـــحْـــرِ
أَســـــرَ المـــعـــتـــفـــين بـــالمَـــنِّ فـــاعْـــجـــب
لأَســـيـــرٍ مـــا بـــينَ مَـــنٍّ وأَسْـــــرِ
فَـــمُـــعـــادِيـــه مُـــوثَـــقٌ ومُـــوالـــيـــ
ـــهِ بـــقـــيـــديـــن مـــن حَـــديـــدٍ وَتِـــبْـــرِ
مُـــقْـــبِـــلُ الـــمُـــلْـــكِ والـــشَّـــبـــاب فـــلا زا
لَ مُـــمَـــلَّـــى شـــبـــابَ مُـــلْـــكٍ وعُـــمْـــرِ
ســـكـــنَ المـــلـــكُ عـــنـــده فـــي مَـــقـــيـــلٍ
وثَـــــوى الـــدِّيـــنُ عـــنـــدَه فـــي مَـــقَـــرِّ
فـــهُـــو لـــلـــمـــلـــك دافـــــعٌ كـــلَّ خـــطْـــبٍ
وهْـــــوَ لـــلـــدِّيـــن جَـــابـــرٌ كُـــلَّ كَـــسْـــر
فـــــتـــــوارَى لمـــلـــكـــه كُـــــلُّ مَـــلْـــكٍ
وتَـــطَـــاطَـــا لـــقـــدره كُـــــلُّ قـــدر
وجْـــهُـــه أَيْمَـــــنُ الـــوُجـــوهِ عَـــلـــى الـــدِّيـــ
ـــنِ كَـــمَـــا أَنَّ عَـــصْـــرَه خَـــيـــرُ عَـــصْـــرِ

ولَـــئِـــنْ شَـــــادَ عَـــزْمُـــه كُـــلَّ عِـــزٍّ
فَـلَـقَـدْ سَـــــادَ دَهْـــــرُه كُـــلَّ دَهـــرِ
زُيِّـــنَـــتْ عـنـده ســمـــاءُ المـعـالِـي
بـنـجـومٍ مـــن المـنـــاقِـــب زُهْـــــرِ
وتجـــلَّـــت مـنـه ممـــالِـكُـــه الـغُـــرْ
رُ بـبـدرِ الـــنَّـــادي ولـيـث الْـمَـكَـرِّ
هـو فـي الـــدَّسْـــتِ جَـالِـسٌ وعَـطـايـا
هُ إِلـــى الخَـــلْـــقِ والأَقـالـيـم تَـسْـرِي
أَنـــا مِمَّـــن سَـــرت إِلـيـه وجَـــازَتْ
كـــلَّ بَـــرٍّ وجَـــــــاوَزَتْ كـــلَّ بَـحْـر
طـرقَـتْـنـي فـي كُـــلِّ لـيـلٍ بـصـبـحٍ
وأَتَـتْـنـــي فـي كُـــلِّ عُـسْـر بـيُـسـرِ
جـلَّ مـقـدارُ ذكـــرِه لِـي عَـلَـى البُـعْـ
ـــدِ لَـقَـدْ جَـــلَّ فـي الـبَـرِيَّـة قَـــدْري
واقـتـضَـى الأَمـــرُ منـه شِـعْـري فـأَرسـلـ
ـــتُ إِلـيـه بمـقـتَـضَـى الأَمـــرِ شِـعْـرِي
كـــلُّ مـــدحٍ فـيـه فـــإِيَّـــاكَ أَعْـنِـــي
وبـــأَسـمـــاءِ مَـــنْ مَـــدحْـــتُ أُوَرِّي
أَنـــتَ أَرْشَـــدتَـــنـــي إِلـيـكَ ولـكـنْـ
ـــنَـكَ حـيَّـرتَ فـي مَـديـحِـكَ فـكْـري

****

(5)

وقال يمدح القاضي الحافظ السلفي[1] وهو بثغر الإسكندرية[2]:

[الطويل]

مَـدَحْـتُ الـسُّـرى وهــي الحـقـيـقـةُ بـالـذَّمِّ
لـفـرقـةِ أَرضٍ غـاب عـن أُفْـقِـهـا نجمي
إذا خَـلَـتِ الأَوطـــانُ مِمَّـــن أُحـبُّـه
فـلا قـامَ فـيـهـا لـلـحَـيَـا مـوسُـم الـوَسْـم
ديـــارٌ رأَيـــتُ الـصُّـبـحَ مـن بـعـدِ أَهْـلِـهـا
أَشـــدَّ ســـوادًا مـن حَـنـادسِـه الـدُّهْـم
خَـلَـتْ مـن حـبـيـبِ الـقـلـب إلا خـيـالَـه
كجسمي خَـلاَ بـالـبَـينِ إلاَّ مـن الـسُّـقْـم
يُـسـائِـلُـنـي عـنـه صـداهـا لـظَـنِّـه
بـأَن الـصَّـدى والـرَّسـمَ صَـوْتـي مَـعَ الجسم
حَـبـيـبـي لـه مـنِّـي الـفـؤادُ صَـبَـابـةً
بـأَجْـمَـلَ مـن جُـمْـلٍ وأَنـعَـمَ مـن نُـعْـم
قـرأتُ كـتـابَ الحُـسْـنِ مـن خَـطِّ خـدِّه
أَلـم تَـره فـي خَـدِّه واضـحَ الـرَّقْـم
فـبـاءُ عِـــذَارٍ فَـوْقَـه سِـيْـنُ طُـرَّةٍ
إلـى مـيـمِ ثَـغْـرٍ فَـهْـو أَوَّلُـــه بِـسْـم

---

(1) القاضي صدرالدين أبو طاهر، حسن بن محمد بن سلفة الأصبهاني (478 - 576هـ/ 1085 - 1180م).
(2) (ديوان ابن سناء الملك، ص 278).

وقيل تُسَمَّى الخمرُ إثمًا وإن يكن
فريقتُه الإثم البَرِيءُ من الإثم
كأنيَ لم أَسْكَرْ بخمرةِ ريقه
وعَرْبَدْتُ لكنْ فَوْقَ خدَّيهِ باللَّثم
ولم أَر غُصْنًا مائِلاً مِنْ قَوَامِه
يُقوِّمه لكِنْ عِنَاقِيَ أَو ضَمِّي
ولم أَصرعِ العذَّالَ في مَعْرك الهوى
ومن قدِّه رُمْحِي ومِنْ لَحْظِه سَهْمِي
ولم تَلْتقِ الرُّوحان رُوحِي ورُوحُه
وغايةُ غيرِي يَلْتقي الجسمُ بالْجسْم
ولم أَرْضَ منه جنَّةً هان عِنْدَها
عليَّ دخولُ النارِ فيها عَلى عِلْم
زمانٌ كأَنِّي لم أَفُزْ فيه بالمُنى
ولم تَنْزِلِ اللَّذاتُ فيه على حُكْمي
فحِلْميَ إلاَّ فيه حِلْمُ ذوي النُّهى
وصَبْرِيَ إلاَّ عنه صبرُ أُولي العزم
وذاك دنوٌّ آل مني إلى النَّوى
وذاك سرورٌ آل منه إلى الهمِّ
كذا خُلِقَتْ فالقربُ للبعْدِ والرِّضَا
إلى السُّخْطِ والقَصْرُ المشيدُ إلى الْهَدْم
نَسيتُ سِوى دارٍ بكيتُ برَسْمِها
وذَلِكَ رَسْمي إنْ وَقَفْتُ على الرَّسم

وديـعـةُ مـسـكٍ فـي ثَـراهـا وجْـدتُـهـا
فـصـيِّـرتُ لَـثْـمِـي لـلـوَدِيـعـةِ كـالخَـتْـمِ
عـلـى سُـنَّـةِ الـعُـشَّـاقِ أَو بِـدْعـةِ الـهـوى
حَـمَـلْـتُ بجهْلي - إِذْ جـهِـلْـتُ - على حِلْمِي
ولـكـنِّـي أَنْـشَـرْتُ فـهـمِـي مـن الـبِـلَـى
كـمـا أَنَّـنِـي أَيـقـظْـتُ حِـلْـمـي مـن الحُـلْـمِ
وأَقـبـل نُـسْـكِـي حـيـنَ ولَّـتْ شَـبـيـبَـتـي
وآضَ اجْـتِـرامِـي حـين عـاتَـبَـه حـزْمِـي
فـجِـئْـتُ إِلـى الإِسـكـنـدريـةِ قـاصـدًا
إِلـى كـعـبـةِ الإِسـلامِ أَو عَـلَـمِ الـعِـلْـم
إِلـى خـيـرِ ديـنٍ عـنـده خَـيْـرُ مُـرشِـدٍ
وخـيـرِ إِمـامٍ عـنْـدَهُ خـيـرُ مُـؤْتَـمِّ
إِلـى أَحـمـدَ المُحـيـي شَـريـعـةَ أَحـمـدٍ
فـلا عَـدِمـتْ مـنـهُ أَبًـا أُمَّـةُ الأُمِّـي
حَـمَـى بـدُعـاءٍ أَو هَـمَـى بـفـوائـدٍ
فـبُـورِكَ مَـنْ مـا زَال يَـحْـمـي كـمـا يَـهْـمِـي
تـقـوَّس تـقـويـسَ الـهِـلالِ تـهـجُّـدًا
وذاك هـلالٌ يَـفْـضَـحُ الـبـدرَ فـي الـتـمِّ
إِذا مـا شـيـاطـينُ الـضَّـلالِ تمـرَّدت
جِـدَالاً فـمِـنْ أَقـوالـه كَـوْكَـبُ الـرَّجْـمِ
تـكـادُ لـديْـه الـعُـرْبُ والـفـخـرُ فَـخْـرُهـا
تُـقِـرُّ بـه أَنَّ المـفـاخـرَ فـي الـعُـجْـمِ

أَبُـو الـدَّهـر عُـمْـرًا واعْـتِـزَامًـا ومنصِبًا
فـلا ذاقَ مـنـه دهـــرُه فَـجْـعَـةَ الـيُـتْـم
أَتـيـــتُ لــه مُـسْـتَـشْـفِـعًـا بـدُعـائِـه
يُـقِـيـلُ بـه جُـرْمِـي ويَـشْـفَـعُ فـي إِثـمِـي
ويمَّـمْـتُ يمَّـا حُـــزْتُ فـي الـيَـمِّ قَـبْـلَـهُ
إِلـيـه فـمِـنْ يمٍّ وَصَـــلْـــتُ إِلـــى يَمِّ
وفـــارَقْـــتُ مَـــالا يُـسْـتَـطـاعُ فِـراقُـه
فـيـالـكَ عَـــدْلاً لاَحَ فـي صُـــورَةِ الـظُّـلْـمِ
وخـلَّـفـتُ إِخـوانًـا كِـرَامًـا ومَـعْـشَـرًا
إِذا مَـرِضُـوا دَاوَوْا سـقـيمَـهـمُ باسمي
فـهـل عِـنـدَكُـم أَنّـــي نـزلـتُ بِـبَـلْـدَةٍ
هـــي الـثـغـرُ إِلاَّ أَنـــه بَـــاردُ الـظَّـلْـم
تـرى أَهْـلَـه كسـبَ المحـامِـد فـي النُّـهى
وحَـوْزَ الـعُـلى فـي الـبِـرِّ والـغُـنـمْ فـي الـغُـرْمِ
شَـكَـرتـكُـمُ يـا أَهْـــلَ إِسْـكـنـدريَّـةٍ
لأَنَّـــكُـــمُ أَنـــأَى الأَنـــامِ عـن الـــذَّمِّ
فـإِن أَنـا واصَـلْـتُ المـقـامَ فـعـن رِضًـى
وإِنْ أَنـا أَزْمَـعْـتُ الـرَحـيـلَ فَـعَـنْ رَغْـمـي
سـأَحـبـوكُـمُ رِقَّ الـقـوافـي فـإِنَّـنـي
بـغـيـر اخْـتِـلاقٍ مَـالِـكُ الـنَّـثْـرِ والـنَّـظْـمِ

✱✱✱✱

(6)

وقال يمدح الصاحب صفي الدين أبا محمد عبدالله بن علي[1]

[السريع]

جـــاد ومـــا ضَـــنَّ عَـلَـيْـهِ ضَـنَـاهْ
وَمَـــا شَـفَـاهُ غَـيْـرُ لـثـم الـشِّـفـاهْ
أَصْـــبَـــحَ مَـكْـفُـوفًـا بِـــلاَ مِـــرْيَـــةٍ
لأَنَّـــــه يَـعْـشَـقُ مَـــنْ لاَ يَـــرَاهْ
هـــذا وقـــد أَقْـــــدم حـتـى شَـــرَى
رِيمَ الـفَـلاَ مَـنْ بَـيْنِ أُسْـــدِ الـشَّـراهْ
ظـبـيٌ ومِـسْـكُ الـظَّـبْـي فـي سُـــرَّةٍ
يُـوجَـدُ لَـكِـنْ مِـسْـكُ ذَا فـي لَـمَـاهْ
غُـصـنٌ جَـنَـتْ أَزهـــــارَه أَعـــيُنٌ
وأَعـــيُنُ الـعـشَّـاقِ أَيْـــدي الجُـنَـاهْ
شـمـسٌ يـــرى الـشـمـسَ ولـكـنَّـه
يُـبْـصِـر مِـنْـهـا وجْـهَـه فـي مِـــرَاه
حـــوريٌّ إِنْـــسٍ سُـنْـدُسِـيُّ الـقَـبَـا
لا مِـثْـل أَعْـرابـيـةٍ فـي عَـبـاهْ
فـي طَـرْفِـهِ الـــرَّاحُ وأَجـفـانُـه الـ
ـكَـاسَـاتُ والأَهْـــدَابُ مِـنْـهـا السُّـقـاه

(1)ديوان ابن سناء الملك: ص 357.

تـقـلَّـد الـسَّـيـف فَـقُـلْـنـا فـتـىً
وجَـــاءَ لـلـبَـيْـتِ فـقُـلـنـا فَـتَـاه
أَحْـــسُـــد لـفـظًـا قَـالَـه عـنـدمـا
قـبَّـل فـــاهُ لَـفـظُـه حِـــين فَـاه
يـا سـاكـنًـا قـلـبًـا بـه سَـاكِـنٌ
فَـهـو بِـهَـذا قـد حَـــوَى مَـا حَـواه
أَمِـنـتُ مِـنـكَ المـوتَ مِـنْ يَـوْم أَن
شَـرِبـتُ مـن رِيـقِـكَ مَـاءَ الحَـيـاه
آهًـــا لـعـيـشٍ قـد تَـقَـضَّـى بـه
مـا كـانَ أَبْـهَـاه وأَحْـلَـى حُـلاه
أَيَّـــامَ غُـصْـنـي مُـــورِقٌ مُـثْـمـرٌ
وقـبـلَ أَنْ فـلَّ شَـبَـابـي شـبـاه
وكـــان عَـيْـشِـي بِمَـشـيـبـي قـذىً
نَـعَـم فَـمَـا الـشَّـيْـبَـةُ إِلاَّ قَـذَاه
وفـي حـصـاةِ الـقـلْـبِ طَـوْدُ الـهـوى
فـاعْـجَـبْ لـطَـوْدٍ كـامـنٍ فـي حَـصَـاه
وبـي جَـــوىً تـضـعُـفُ مـنـه الـقـوى
وبـي أَسَـــىً تَـعـجِـزُ مِـنْـه الأُسَـاه
جـار عـلـيَّ الـدَّهـرُ فـي حُـكْـمِـه
وزاد فـي طُـغْـيـانِـه واعْـتِـدَاه
لا يـعـلـقُ الـدَّهـرُ حـبـالَ امـرئٍ
بـابـن عـلـيٍّ عُـلِّـقَـتْ رَاحَـتَـاه

ولـيـكـفـك الجـــورُ فَـظَـهْـري حِـمـىً
مـنـه لأَنـــي سَـــاكِـــنٌ فـــي حِـمَـاه
وأَنـــت يـــا خَـــطْـــبَ زمـــانٍ غَـــدَا
ذَرنـــي فـــإِنِّـــي قـاطـن فـي ذُرَاه
إِنَّ صَـفـيَّ الـدّيـن حِـصْـنـي فـما
يَـقْـرعُ هـذا الـدَّهـرُ لـي مـن صَـفـاه
أَروعُ رِيـــعَ الـــدَّهْـــرُ مـــن بـأسِـه
وخـــاف أَن تَـنْـفُـذَ فِـيـه سُـطَـاه
طـــارَتْ أَحـــادِيـــثُ سـيـاداتِـه
حُـسْـنًـا وطـالَـتْ فـي المـعـالـي خُـطَـاه
أَثـــرى مـــن الـــسُّـــودَدِ جَـــدًّا فـما
تُـقَـبِّـل الـســـاداتُ إِلاَّ ثَـــراه
تـتـبَّـعُ الـــســـاداتُ آثـــارَه
وَرَاءَه تَـسْـعَـى وتَجْـــرِي حُـفـاه
أَوسَـعُـهُـم صـــدرًا لِحَـمْـلِ الْـعَـنـا
فـي هِـبَـة الـبِـرِّ وفَـــكِّ الـعُـنَـاه
فـكـلُّ خَـلْـقٍ جـــادَه جَـــودُه
وكـــلُّ أَرْضٍ أَمْـطَـرَتْـهـا سَـمـاَه
شـتَّـتَ شَـمْـلَ المـالِ جُـــودًا بـه
حـتَّـى ظَـنَـنَّـا مَـالَـه مَـــنْ عِـــدَاه
مَـا دَارُه الـــدارُ الـتـي شَـاءَهـا
تـلـك مَـقـيـلُ الـوفْـدِ مـــأوَى الـعُـفَـاه

****

(7)

وقال يمدح الملك الظاهر غازي[1] صاحب حماه[2].

[المتقارب]

غـــريمـــي ولـــكـــنـــه المـــاطـــلُ
حـبـيـبـي ولـــكـــنَّـــه الـــقـــاتـــلُ
أَرى قـاتـلـي غُـصُـنًـا نـاضـرًا
ولـــكـــن لـــه مَـــرشـــفٌ ذابـــل
وظَـــبْـــي حـبـائـلُـــهُ شَـــعْـــرُه
فـمِـنْـه لـه الـصَّـيـدُ والحـابِـلُ
فـفـي خِـــدرِه جـــؤْذُرٌ كَـانِـسٌ
وفـــي سَـــرْجِـــه أَسَـــدٌ بـاسِـلُ
وفـــي قـلـبـه مَـــلِـــكٌ جـائـرٌ
وفـــي خَـــصْـــرِه خَـــاتَمٌ جَـائِـلُ
ومِـــنْ خَـمـرِه أَو فَـمِـن ثَـغْـرِه
يـــقـــال لـــنـــاظِـــره بـــابـــلُ
قـــريـــبٌ عـلـى أَنـــه نـــازحٌ
وحـــــالٍ عـلـى أَنَّـــــه عَـاطِـلُ

---

(1) الملك الظاهر غازي هو ابن صلاح الدين، ولاه والده قبل وفاته على حلب وجميع أعمالها مثل حارم، وتل باشر، وأعزاز وغيرها، توفي سنة 630 هـ.

(2) ديوان ابن سناء الملك: 238،

إذا فـــاضَ مـنـه مـكـانُ الجـمـالِ
فـكـلُّ مـكـانٍ لـــه قَـابِـلُ
وكَـــم بـــذَل الـصَّـــدَّ مـن بُـخْـلِـه
ومـــن عَـجـبٍ بـــاذلٌ بَـاخـلُ
تـــوهَّـمـــتُ أَنِّـــيَ لا عـاشـقٌ
لأَنِّـــيَ مـا فـيـه لـي عَـــاذِل
بـــه كـــدتُ أُنْـــقَـــل عـن شِـيـمـتـي
وقـــد يَـقـهـرُ الـشـيـمـةَ الـنَّـاقِـلُ
لمـثـلـك زلَّـــت عـقـولُ الـرِّجـــالِ
ولـكـنَّـنِـي عَـــاشِـــقٌ عَـاقِـل
فـــلا تـنـهـرِ الـصـبَّ ظُـلْـمًـا لـه
فـــإِن الـــعِـــذارَ هـــو الـسـائـل
وحـــقِّ الـهـوى إِنَّ أَهـــلَ الْـهَـوَى
لـهـم بـالـهـوى شُـغُـلٌ شَـاغِـلُ
تُـعـيـنـهُـمُ فـي الـهـوى أَعْـــينٌ
ويـنـصـرُهـم رشَـــأٌ خَـــاذِلُ
ولـــو ظَـفِـــروا بـــالَّـــذي نِـلْـتُـه
لأَسـلاَهُـــمُ ذلـــكَ الـنَّـائِـلُ
نـــوالٌ أَتـــانـــي كـمـثـل الأَتـــيِّ
يُـــراضُ بـــه الـبـلـدُ الـماحِـل
سَـــرى والـسَّـــمـــاحُ لـه سـابـقٌ
وظـهـرُ الـسَّـحـابِ لـه حَـامِـلُ

فـــــروَّى وروَّض وادِي المُـنـى
ونـــــــالَ بـــه الأَمـــــــلَ الآمـــــلُ
ذُهـــلـــتُ بمـعـجـزِ ذَاك الـنَّـــوالِ
وفـــي مِـثـلـه يَـــذْهَـــلُ الـــذَّاهِـــلُ
ومَـــنـــهـــلِ بِـــرٍّ أَتَـــــى نَـــاهِـــلاً
ويَـــأْتِـــي إِلـــى الْمَـنْـــهـــلِ الـنَّـــاهِـــلُ
وإِن قـــلـــتُ أَعـــــرفُ وصـــفًـــا لـه
دَلَـــلْـــتُ عَـــلَـــى أَنَّـــنِـــي جَـــاهِـــلُ
حَـــبـــانـــي بـــه مـــلـــكٌ جُـــــودُه
جـــديـــدٌ كـــمـــا طَـــوْلُـــه طَـــائـــل
هـــو الـــطَّـــاهـــر الـــظـــاهـــرُ الْمَـكـرُمـا
تِ والأَروعُ الـــعـــالِـــمُ الْـــعـــامِـــلُ
مـــكـــارمُـــهُ مـــا لـــهـــا غَـــايَـــةٌ
ولُجَّـــتُـــه مـــا لَـــهـــا سَـــاحِـــل
مـــنـــارُ الـــسَّـــمـــاحِ بـــه قَـــائِـــمٌ
وربـــــعُ الـــعَـــلاءِ بـــه آهِـــلُ
تجـــيءُ المـــلـــوكُ إِلـــى بـــابِـــه
لِـــيَـــغْـــمُـــرَهُـــمْ جُـــودُه الـــشـــامِـــلُ
عـــلـــى الـــبـــاب أَشـــرفُـــهـــم واقـــفًـــا
ومَـــنْ ذَا الَّـــذِي مـــنـــهـــمُ الـــدَّاخـــل
وإِن دَخَـــلـــوا صَـــمَـــتـــوا خُـــشُّـــعًـــا
لأَن المَـــقـــامَ لـــهـــم هَـــائِـــلُ

يـعـمُّـهـمُ حـلـمُـه المـطـمـئـنُّ
ويـشـمـلُـهـم بِـرُّهُ الـعـاجِـلُ
ويَـخْـفِـضُـهـم أَنَّـهـم كـالمُـضـافِ
ويـرفَـعُـهـم أَنَّـه الـفـاعِـلُ
وأَعـداؤُه كـلُّـهـم نـاكـبٌ
عَـنِ الـرُّشْـد بـل كـلُّـم نـاكِـلُ
فـأَوقـدُهـم عِـنـده خـامِـدٌ
وأَنـبـهُـهـم عـنـدَه خَـامِـلُ
أَبـادَهُـمُ بـأْسُـه المـسـتـطـيـلُ
وأَهـلَـكـهـم سـيْـفُـه الـفـاصِـلُ
لـك الـسَّـيْـفُ إِن شِـيـم بَـرْقٌ لَـه
فـلـلـمـوتِ عـارِضُـه الـهـاطِـلُ
بـه الحَـقُّ حُـقَّ كـمـا أَنَّـه
بـحَـدَّيـهِ قـد أُبْـطِـلَ الـبَـاطِـلُ
إِذا مَـلِـكٌ جـار فـي حُـكْـمِـه
فـسـيـفُـك فـي رأْسِـه عـادِلُ
ولـيـس لـه نَـفَـسٌ حَـاضِـرٌ
ولـيـس لـه أَجَـلٌ آجِـل
إِذا مـا نَـزَلْـتَ عـلـى نـاكِـثٍ
فـكـلُّ بـلاء بـه نـازل
وإِمّـا عـطـفـت عـلـى مـجـتـدٍ
فـكـل رجـاءٍ لـه حَـاصِـلُ

لـفَـظْـتُ مـلـوكَ الـوَرى بـعـده
كـمـا لـفـظ الـلـقـمـة الآكـل
وإنـي شُـغـلـت بـه عـنـهـمُ
فـمـا أَنَـا عـنـهـمْ بـه سـائِـلُ
ولـو جـاءَنـي أَمـرُهُ بـالمسيرِ
لَـسـرْتُ ولـو أَنَّـنِـي رَاجِـل
ومـا أَنـا مـن أَمَـلـي آيِـسٌ
فـكـيـفَ وإِنـعـامُـه كَـافِـل
ومـا عـشـتُ مَـدْحـي لـه وَافْـدٌ
عـلـيـه وحـمْـدِي لـه واصِـل
ومـا أَنـا عـن شُـكْـرِه سـاكِـتٌ
ولا أَنَـا عـن ذِكـرِه غَـافِـل
بـقـيـتَ وبـدرُك لا غـارِبٌ
وعِـشْـتَ ونَجـمُـك لا آفِـلُ

****

(8)

وقال يمدح الملك المعظم شمس[1] الدّولة توران شاه[2]:

[الطويل]

تـقـنَّـعـتُ لـكِـنْ بـالحـبـيـبِ المـعَـمَّـمِ
وفَـــارَقْـــتُ لـكِـنْ كـلَّ عَـيْـشٍ مُـــذَمَّمِ
وبَـاتَـتْ يَـدِي فـي طـاعـةِ الحُـبِّ والـهَـوى
وِشـاحًـا لخَـصْـرٍ أَو سِـــوارًا لِـمِعْـصَـمِ
وأَثْـــريـــتُ مـن ديـنـار خَـــدٍّ مَـلـكْـتُـه
وأَحـــسـنُ وَجـــهٍ بـعـدَه مـثـلُ دِرْهـــمِ
يـزيـدُ احْـمِـرارًا كُـلَّـمَـا زدْتُ صُـفْـرَةً
كـــأَنَّ بـه مـا كـان فِـــيَّ مِـــنَ الـــدَّم
تـوقَّـد ذاك الخـــدُّ فـاخـضَـرَّ نُـضْـرَةً
فـأَبْـعـدتُ مِـنْـهُ جَـنَّـةً فِـي جَـهَـنَّـمِ
وفـي خَـطَّ مِـسْـكٍ لاَحَ فـي طِـرْس وجنـةٍ
لـهـا الـــوردُ يُـعـزَى والـبَـنَـفْـسَـجُ يَـنْـتـمِـي
ومـا زالَ سُـقْـمِـي قـبـل يـومِ وصـالِـه
يَـنـمُّ بـعـشْـقـي لـلـعِـذَارِ المُـنَـمْـمَـمِ

(1)شمس الدين: هو توران شاه الأخ الأكبر لصلاح الدين، استقر في الإسكندرية سنة 574 هـ ومات بها سنة 576 هـ. ديوان ابن سناء الملك: 281.

(2)ديوان ابن سناء الملك: 281.

وبـــتُ اشـتـيـاقًـا إِذْ تَـلَـثَّـم فَـوْقَـهُ

ومـــا بُـغْـيَـتـي إلا بَـلْـثـم المـلـثَّـم

ولا عـجـبًـا إِنْ مِـــتُّ فـيـه صَـبـابَـةً

فـمـا الـنَّـفْـسُ إلا بـعْـضُ مَـغْـرَم مُـغْـرَمِ

بـنـفْـسِـيَ مـــن قـبَّـلـتُـه وَرَشَـفْـتـــه

فـقـال الْـهَـوى فُـــزْ بـالحـطـيـمِ وزَمـــزَم

وجـــــرَّدتُ قـلـبـي مـن ثـيـاب هُـمُـومِـه

فـطـافَ بـه والـقـلـبُ فـي زِيِّ مُـحـرِم

وعَـطَّـر لـفْـظِـي فـي الحَـديـثِ سُـلـوكُـه

عـلـى قُـبـلـةٍ قـد كـان أَوْدَعَـــهـــا فَـمـي

سَـــعِـــدْتُ بـبـدر خَـــدُّه بُـــرجُ عَـقْـرَبِ

فـكـذَّب عـنـدي قـــولَ كُـــلِّ مُـنـجِّـم

إِلـيـك فـمـا بَـــدْرُ المـقـنَّـعِ طـالـعًـا

بـأَسـحـرَ مـن أَلحـــاظِ بـــدرِي المـعـمَّـم

وأُقْـسِـمُ مـا وجـهُ الـصَّـبـاحِ إِذا بَـدا

بـــأَوضـــحَ مِـنّـي حُـجَّـةً عـنـد لُـوَّمـي

ولا سـيّـمـا لمّـــا مـــــررتُ بمـنـزلٍ

كـفـضـلـةِ صـبـرٍ فـي فـــــؤَادِ مـتـيَّـم

ومـــا بـــان لـــي إِلاَّ بـــعُـــودِ أَراكـــةٍ

تـعـلَّـق فـي أَطـرافِـه ضَـــوْءُ مَـبْـسِـمِ

وقَـفْـتُ بـه أَعـتـاضُ عـن لَـثْـمِ مَـبْسِـمٍ
شـهِـيٍّ لـقـلـبـي لَـثْـمَ آثَـارِ مَـنْـسِـمِ
ودِمْـنَـةٌ مـن أَهـواهُ فـي الحُـسْـنِ دُمـيَـةٌ
وتـصـديـقُ قـولِـي أَنَّـهـا لـم تـكَـلَّـم
بـكَـيْـتُ بـكِـلـتَـا مُـقْـلـتَـيَّ كـأَنَّـنـي
مُـتـمِّـمُ مـا قـد فَـاتَ عَـيْـنـيْ مُـتـمّـمِ
ولـم يَـرَ طَـرْفِـي قـطُّ شَـمْـلاً مـبـدَّدًا
فـقـابَـلَـهُ إلاَّ بـدمـعٍ مُـنـظَّـم
تَـبَسَّـم ذاكَ الـثَّـغْـرُ عَـنْ ثَـغْـرِ دَمْـعَـةٍ
وَرُبَّ قُـطـوبٍ كَـامِـنٍ فـي الـتَّـبسُّـمِ
ولـم يُـسْـلِ قَـلْـبِـي أَو فَـمـي عـن غَـزَالـةٍ
وعـن غَـزَلـي إلا مـديـحُ المُـعـظَّـم
هـو الْـمَـلِـكُ المُـعْـطِـي المـمـالِـكَ عُـنْـوةً
بمَـجـدٍ صـمـيـمٍ أَو بـجِـدٍ مُـصَـمِّـم
إذا حَـازَ مُـلْـكًـا ثـم أَطْـلَـقَ ربَّـه
سـلـيـمًـا فـقـد فـازَ الـطـلـيـقُ بِمَـغْـنَـمِ
تَـخِـرُّ لـديـه رهْـبَـةً مِـنْـهُ سـجَّـدا
مـلُـوكُ الـبَـرايَـا مـن فَـصِـيـحٍ وأَعـجـم
إذا خـرَّ مـنـهـم سـاجـدٌ كَـانَ شـأْنُـه
كـمـا قِـيـل قِـدْمًـا لـلـيَـدَيْـنِ ولـلـفَـمِ

سَـــلاَمُ الـــذي يـأْتـيـه مـنـهـم سـجـودُه
لأَبـلـــجَ هـــطَّـــالِ الـيـمـيـنـين مُـنْـعِـم
فـفـي أَرضـــه مـن لَـثْـمِـه إِثْـــرُ مَـبْـسـمٍ
وفـي وجـهـه مـن تُـرْبِـهَـا إِثـــرُ مَـيْـسَـمِ
غـدا بـأْسُـه يـحـمـي حِـمَـاه وقـد غَـدَا
بـه الـدّهـر مـنـه يَـسْـتَـعِـدّ ويَـحْـتَـمِـي
فـلـو ذَكَـرَتْـه الـطـيـرُ أَو سـمَّـتِ اسـمَـه
لـمـا راعَـهـا فـي جـوِّهـا بـــأْسُ قَـشْـعَـمِ
أَخـــو فَـتـكـاتٍ لا تـــزالُ سُـيُـوفُـه
تَـخُـطَّ سـطـورَ الـنَـصـر فـي جَـبْـهَـةِ الْـكَـمِـي
فـقـد أُرْسِـلـتْ حـتْـفًـا إِلـى كـلِّ كـافـرٍ
كـمـا أُرْسِـلـتْ فَـتْـحًـا إِلـى كُـل مُـسْـلِـم
وأَصـبـح يُـعْـدي الـسـيـفَ تَـصـمـيـمُ عـزمِـه
فـمـنْ ذَا يُـسَـمَّـى بـالـحُـسـامِ الْـمُـصَـمِّـم
وأَسـهـمُـه فـي صَـــدِّ كـلِّ مُـــدرّعٍ
فـمـا الـــدِّرعُ مـنـهـا غـيـرُ بُـــرْدٍ مُـسـهَّـمِ
إِذا صـاد غِـــزْلاَنَ الـفَـلاَ كُـلُّ أَصْـيَـدٍ
فـمـولاهُـمُ مـن صَـيْـدِهِ كُـلُّ ضَـيْـغَـم

✱✱✱✱

(9)

وقال يمحد الصاحب الأجل صفي الدين بن شكر أدام الله دولته[1]

[الخفيف]

لـيـلُ وصـــلٍ مـنـيـرةٌ أَقـمـارُه
شـابَ مِـنْ قَـبْـل أَنْ يُـخَـطَّ عِـذارُه
زارَنـــي مَـــنْ جَـــلاَهُ لَمَّـا تَجَـلَّـى
كـيـفَ يَـبْـقَـى لـيـلٌ وفـيـه نَـهـارُه
بـأَبِـي الـزَّائـرُ الجـديـدُ وقِـدْمًـا
شـطَّ عـنـي مَـــزَرُّه ومَـــزَارُه
جـاءَ مُـسـتَـعـذِرًا فـلـم يُـر أَحْـلـى
مـن رُضـابٍ بِـفـيـه إِلاَّ اعْـتِـذَارُه
شـهـد الـشَّـهـدُ أَنَّـه ريـقُـه الحـلـ
ـو فـمَـن مُـشـتـرِيـه أَوْ مُـشْـتَـارُه
ثـمِـلُ الـعِـطْـفِ وهـو لـم يـشـربِ الخـمْـ
ـرَ ولـكـن فـي نَـاظِـريـه خُـمَـارُه
قَـرَّبَ الخـدَّ مـن فـؤادي لـتـحـريـ
ـقِ فُـؤادي فَـأَطْـفَـأَ الـنَّـارَ نـارُه
فـجـعـلـتُ الـشِّـعـار مـنـه الـثُّـريَّـا مَـعَ الـبـدْ
رِ فَـذي قُـرطُـه وهَـذا سِـوارُه
إِن بَـدا وجـهُـه فـأَبْـعَـدُ شَـيءٍ
مـن مُـعَـنَّـاه غـفـلُـه واخـتِـيـارُه

(1) ديوان ابن سناء الملك: 169.

أَكْـمَـلُ الخـلـق فـي الـشـمـائِـل وَزْنًـا
وبـــذَوقِ الـعـيـون صَـــحَّ اعْـتِـبَـارُه
يسكن الـقـلـبَ يـقـتـلُ الـصَّـب بـالـهـجْـ
ـــرانِ ذَا دَارُه وذِي أَخْـــبَـــارُه
كـان هَـذا مـن قـبـل أَنْ يُـزهِـر الـشِّـعْـ
ـرُ وتَـــذْوي مـن الـصِّـبـا أَزْهَـــارُه
قـبـلَ أَنْ غَـاض مـــاؤُه قـبـل أَن تـعـ
ـلُـو عَـلَـى صَـفْـوِ عَـيْـشِـه أَكْـــدَارهُ
فـعـفـا الـلَّـهْـوُ حِـين عَـفَّ المُـعَـنَّـى
لاَ صـبَـابَـاتُـه ولاَ أَوْطَـــــارُه
ولَـعَـمْـري مَـن يـنـتـظرْ بَـعـد خمسيـ
ـنَ رجـوعَ الأَوْطـــارِ طَـالَ انْـتِـظَـارُه
نِـعَـمٌ إِنَّـــهـــا تـعـودُ إِذا عـا
دَ نـــوالُ الـوزيـر لـي وادِّكَـــارُه
إِن يَـعـد رأيُـه الجـمـيـلُ يَـعُـدْ لي
كـلُّ مـا أَشـتـهـي ومـا أَخْـتَـارُه
كـيـفَ لا يُـجْـتَـلَـى بـعـيـنـيَ مَـرْآ
ه ويُـجـنـى بِـراحـتـيَّ ثِـمـارُه
كَـيْـفَ يَـظْـمـا قـلـبي إِلـى جُـوده الـغَـمْـ
ـرِ وَغـيْـري قَـد غَـرَّقَـتْـه بِـحَـارُه
سـوف أَرْوي مـن بَـحْـرِ نـائـلـه الجَـمْ
مِ ويَـعْـلـو أَغـمـارَ هَـمِّـي غِـمَـارُه
الـوزيـرُ الَّـــذي بـه نـهـضَ المُـلْـ
ـكُ وحُـطَّـت عـن ظـهـرِه أَوْزَارهُ

وبـــآرائِـــه احْـتَـمَـى فـهْـو إِمَّـــا
سُـــورٌ عَـــوَّذَتْـــه أَوْ أَسْـــوارُه
فـبـمـعـروفِـه أَقـــرَّ وقـــرَّتْ
عـيـنُـه واسـتَـقَـرَّ مِـنْـه قَـــرارُه
جـاورتـه المـلـوكُ تـلـتـمسُ الـعِـزْ
زَةَ لَمَّـا رَأَوْه قَـدْ عـزَّ جَـارُه
وتَحـامـى الأَذْمَـارُ جـانـبَـه الأَشْـ
ـوَسَ لـمـا رَأَوْهُ يُـحـمَـى ذِمَـارُه
صـادَ صِـيـدَ المـلـوكِ طَـوعًـا وكـرهًـا
وحـبـالاتُ صَـيـدِهِـمْ أَفْـكَـارُه
كـل مَـلْـكٍ مـنـهـم فـمِـنـه غِـنَـاهُ
وإِلـيْـه فـي المُـعْـضِـلاتِ انْـتِـصَـارُه
هُـو أَعْـلَـى الـوَرَى مَـكـانًـا وقـدْرًا
قَـدْ عَـلا مَـنْ عُـلا الـدَّرَارِي ديـارُه
شـقَّ حـتَّـى ارْتَـقَـى بِـقَـاعَ المعالِي
طُـرُقًـا لا يُـشـقّ فـيـهـا غُـبـاره
لابـسًـا حُـلَّـةَ الـعُـلا سـاحـب الـذَّيْـ
ـلِ عـلـى قِـمَّـة الـسُّـهـا جَـرَّارُه
انـظـرِ الأُفْـقَ فـهْـو مَـنْـزِلُـه الأَقْـ
ـربُ مـنـه والـشَّـمـسُ فـيـه مَـنَـارُه
أَثَّـرتْ رِجْـلُـه عـلـى وجـنـةِ الْـبَـدْ
رِ فَـذاكَ الَّـذِي بِـهـا آثَـارُه

بـــأْسُـــه وابْـــتِـــســـامـــه وسُـــطـــاه
ونَـــــداه وعَـــفْـــوه واقْـــتِـــدَارُه
لَـيْـس يَـنْـجُـو الـعـدوُّ مِـنـه إذا فـرْ
رَ ســوى أَنْ يُــرى إِلــيــه قَـــرَارُه
فَـمُـوالِـيـه لا يَـخِـيـبُ مُـنَـاه
ومُـعـاديـه لاَ يُـقَـالُ عِـثَـارُه
أَكـــرَمُ الخَـلْـقِ لا يُـرى قـطُّ أَنْـدى
مـن يمـين الـغـمـامِ إلاَّ يَـسـارُه
مِـدْحَـتـي أَطـيـبُ المـدائِـح لمَّـا
أَنـبـتـت روضَ مَـدْحِـه أَمْـطَـارُه
لا عُـلاً فـي الأَنَـامِ إلاَّ عُـلاَه
لا فـخـارٌ فـي الخـلـقِ إلاَّ فَـخَـارُه
أَيُّـهـا الـصـاحِـبُ الـذي مَـلَـكَ الدهـ
ـرَ وأَجـنـادُ مـلـكِـه أَقْـدَارُه
قـد زَفَـفْـتُ الـعـروسَ مـن مـصْـر للشَّـا
مِ إِلـى كُـفْـؤِهـا الـكـريمِ نِجـارُه
وحـقـيـقٌ لـهـا بـأَنْ تُـصـبِـحَ الشُّـهـ
ـبُ إِلَـيـهـا يَـوْم الـزِّفَـافِ نِـثَـارُه

****

باب التهنئات

(10)

من شعره مهنئًا صديقه القاضي الفاضل بعيد الفطر[1]:

[الكامل]

فَـــرَّقْـــتُ بـــين بَـنـانِـهـا وخِـضَـابـهـا
وجـمـعـتُ بـين سُـلافِـهـا ورُضَـابِـهـا
واعـتـضْـتُ بـالخَّـديـن عـن تُـفَّـاحِـهـا
وغَـنـيـتُ بـالـشَّـفَـتـين عَـنْ أَكْـوَابِـهـا
وسَـمِـعـتُ بـالـتـقـبـيل صـــوتَ نـعـيـمِـهـا
وأَمِـنـتُ بـالـتَّـعـنـيـق سَـــوْطَ عَـذَابِـهـا
ورأَيـــــتُ مـنـهـا قَـــدَّهـــا مُـتـمـايـلاً
فـجـنـيـتُ مِـنـه زَهْـــــرَه مُـتَـشَـابـهـا
ولـقـد أَحـــلَّ الـسُّـكـر حَـــلَّ إزارَهـــا
مِـــنْ بَـعـد تَحـريمـي لِحَـــلِّ نِـقَـابِـهـا
فـالحـسـنُ مـا تُـبـديـه فـــوقَ جُـفـونـهـا
كُـحـلاً ومـا تُـخـفِـيـه تَحْـــت ثِـيـابِـهـا
بـيـضـاءُ لَـيْـلـى بـالـوصـالِ كـثَـغْـرِهـا
كَـجـبـيـنِـهـا كَـنـسـيـمِـهـا كَـشَـبـابِـهـا
حَـضَـرِيِّـةُ الأَوطـــانِ لا بَـدويِّـة الْـ
أَعـــطـــانِ بَـائِـلـــةٌ عَـلـى أَعْـقـابِـهـا

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 22.

خُـــذْ يـا كُـثَـيِّـرَ عَـــزةٍ لـك عِـــزَّةً
ودَع المـلـيـحـةَ إنَّـنـي أَوْلـــى بِـهـا
فَـتُـرابُ قَـاتـلـتـي يـفُـوح كـمِـسْـكِـهـا
طِـيـبًـا وعَـــزَّةُ مِـسْـكُـهـا كَـتُـرابِـهـا
آتِـــي فـأَعـثُـر فـي سـلـوكِ عُـقـودهـا
وتَـظَـلُّ تـعـثـرُ أَنـــتَ فـي أَطْـنَـابـهـا
وتُجـيـبـنـي الـنـغـمـاتُ مـن أَوتَـارِهـــا
عـنـد الـــزِّيـــارَة لا هَـريـرُ كِـلَابـهـا
لا تـكـذِبـنَّ فـمـا الـهَـوى إلاَّ لَـهـا
مـنِّـي ومِـنْـكَ ومـا الـضَّـنـى إلاَّ بـها
مـا أَنـــت إنـســـانٌ ولا لـك قـيـمـةٌ
إلا إذا أَصـبـحـتَ مَـن أَحْـبَـابِـهـا
وتـقـول كَـسْـرُ الـقـلـبِ مـن أَجْـفـانِـهـا
أَو لـيـسَ كـسـرُ الجـفْـن مِـنْ أَهْـدَابِـهـا؟
كـانـت وكـنـتُ، وكـانـت الـــدَّارُ الـتـي
يـا لـيـتَ - لا كَـانـت - ولا كُـنَّـا بـها
دارٌ حَـصـى الـيـاقـوتِ نـثـرُ عِـرَاصـهـا
ومَـبـاسِـمُ الأَفـــواهِ نَـظْـم رِحَـابِـهـا
والـسـحـرُ مـن أَزهـــارِهـــا، والـــدَّلُّ من
أَشـجـارِهـا والحُـسْـن مِـن أَعْـشَـابِـهـا
ولـكَـمْ بـهـا مِـــن جَـنَّـــةٍ عَـدَنِـيَّـــةٍ
ولـكَـمْ دخـلـنـاهـا بـغـيـر حِـسَـابـهـا

ثـم انْـطَـوَتْ بـيـدِ الـبِـلَـى وأَذاعـــت الْـ

أَيَّـــــامُ لـــلأَبْـصـــارِ ســـرَّ خَـــرَابِـــهـــا

فـــإِذا نـظـرتَ إِلـــى الـرِّيـاض رَأَيْـتـهـا

وكـأَنَّـهـا فـي الـعَـين مـن أَسْـلاَبِـهـا

فـلـوَ انَّ جـــودَ أَبـــي عـلـيٍّ ربْـعُـهـا

مـا جَـــاز تـغـيـيـرُ الـــزَّمـــانِ بِـبَـابِـهـا

جـــودٌ بـسـيـطٌ والـبـسـيـطُ طـبـيـعـةٌ

أمِـــنَـــت تـغـيُّـرهـا عـلـى أحـقـابـهـا

عـبـدُ الـرحـيـم عـلـى الـبـريّـة رحـمـةٌ

أَمِـنـت بـصُـحـبـتـهـا حـلـولَ عِـقـابـهـا

يـا ســائــلاً عـنـه وعَـــنْ أَسْـبـابِـه

نـــالَ الـسَّـمـاءَ فـسـلْـه عَـــنْ أَسْـبـابـهـا

كـــذَب الَّـــذي قـد قـال إِنَّ جـبـيـنَـه

كـهِـلالِـهـا ويمـيـنَـه كَـسَـحـابـهـا

فـجـبـيـنُـه أَبْـــهَـــى بـثـاقِـب نُـــورِه

ويمـيـنُـه أَنْـــدى بـفـيـضِ رِغَـابِـهـا

لـكـن رأَيـــتُ الـشـهـبَ سـاعـةَ خَـطْـفِـهـا

فـــرأَيـــتُ فـيـهـا مـن ذَكـــاهُ مُـشـابِـهـا

مـتـوقِّـدُ الـفِـكَـرِ الَّـتـي مـن أُفْـقِـهـا

يُـــردِي شـيـاطـينَ الـعِـدا بِـشِـهَـابِـهـا

مـا زالَـــتِ الأَعـــداءُ يـــومَ نِـزَالِـهـا

تَـطـوي كَـتَـائِـبَـهَـا بـنـشـرِ كِـتَـابِـهـا

والـــدَّهْـــرُ يـعـلـمُ أَن فـيـصـل خَـطْـبـهِ
بـخـطـا يَـراعَـتـهِ وفَـصْـلِ خِـطَـابِـهـا
حِـكَـمٌ يُـرى الإِسـهـابُ فـي إِيـجـازِهـا
ولـقـد يُـرى الإِيـجـازُ فـي إِسْـهـابِـهـا
ويـدٌ لـهـا فـي كُـلِّ جـيـدٍ كـاسْـمِـهـا
مِـنٌّ يُـقَـلـدُهـا بـلا اسْـتِـيـجـابِـهـا
يُـولـي صـنـائـعـهَـا الـعـظـامَ لِـذَاتِـهـا
لا رغـبـةً فـي الـشـكـر مِـنْ أَصْـحَـابِـهـا
مـا قـالَ هـاتِ لـه عَـلـى عِـلَّاتـه
مُـسـتـرفـدٌ فـأَجـابَـه إِلاَّ بِـهـا
ولـقـد عَـلَـتْ رُتَـبُ الأَجَـلِّ عـلـى الـوَرى
بِـسُـمُـوِّ مـنـصِـبِـهَـا وطـيـبِ نِـصَـابِـهـا
وأَتـتـه خـاطـبـةً إِلـيـه وَزارةٌ
ولَـطـالَـمـا أَعْـيَـت عَـلَـى خُـطَّـابِـهـا
مـا لَـقَّـبُـوه بـهـا لأَنْ يَـعْـلـو بِـهـا
أَسـمـاؤه أَغْـنَـتْـه عـن أَلْـقـابِـهـا
قـال الـزَّمـانُ لـغـيـرهِ إِذْ رامَـهـا
تَـرِبَـت يمـيـنُـك لَـسْـت مِـنْ أَتْـرَابِـهـا
اذهَـبْ طـريـقَـك لـسـتَ مـن أَرْبَـابـهـا
وارْجـع وراءَك لـسْـتَ مِـنْ أَصْـحَـابِـهـا
وبِـعـزِّ سـيِّـدنـا وسـيِّـد عِـزِّنـا
ذَلَّـت مِـن الأَيَّـام شُـمْـسُ صِـعَـابـهـا

وأَتَـــت ســعــادتُــه إِلـــى أَبْــوابــه
لا كَــالَّــذِي يَـسْـعـى إِلَـــى أَبْـوابـهـا
تـعـنُـو المـلـوكُ لـوجـهـهِ بـوجُـوهِـهَـا
لا بـل - تُـسـاق لِـبَـابِـه بِـرِقَـابِـهـا
شَـغَـل المـلـوكَ بمـا يـقـولُ ونـفـسُـه
مـشـغـولـةٌ بـالـذِّكْـرِ فِـي مِـحْـرَابِـهـا
فِـي الـصَّـومِ والـصَّـلـواتِ أَتْـعـب نَفْسه
وضـمـانُ رَاحَـتـه عَـلـى أَتـعـابِـهـا
وتـعـجَّـل الإقـــلاعَ عـن آثـامِـهـا
ثِـقَـةً بـحُـسـنِ مـآلِـهـا وَمـآبِـهـا
فَـسِـواهُ تَـسـبـيـه المِـــلاَحُ بِـحُـبـهـا
وسِـــواهُ تُـصـبـيـه الـطِّـلاَ بِـحـبَـابـهـا
فـلـتَـفْـخـر الـدُّنـيـا بـسـائِـس مُـلِـكـهـا
مـنـه ودَارِسِ عِـلْـمِـهـا وكِـتَـابِـهـا
صـوَّامِـهـا قـوَّامِـهـا عـلاَّمِـهـا
عـمَّـالِـهَـا بـذَّالِـهـا وهَّـابِـهـا
فـتـهـنَّ بـالـنِّـعَـمِ الَّـتـي هُـنِّـئْـتَـهَـا
بـرَبَـابِـهـا دانَـــتْ عَـلَـى أَرْبـابِـهـا
مـحـروسـةً مـن ذُلِّـهـا ومِـطـالِـهـا
وسـلـيـمـةً مـن ذَمِّـهـا أَوْ عَـابـهـا
وتـهَـنَّ عـيـدًا أَقـبَـلـت أَيَّـامُـه
تَـعْـدو إِلـيـكَ بـأَجـرْهـا وثَـوابِـهـا

ولْـتُـهـنـنـي مـنـكَ الـكـرامـةُ إنَّـنـي
أَخْـطُـو وأَخْـطُـر مِـنْـك فـي جِلْبابـها
أَكْـرمْـتَـنـي وعَـمَـمـتـنـي بـفـوائـدٍ
كَـادت تُـغَـرِّق ساحـتـي بِـعُـبـابِـهـا
وكـسـوتَـنـي خِـلـعًـا عَـذَرتُ مَـعـاطِـفـي
لـمـا ارْدَهـاهـا الـتِّـيـهُ مِـنْ إِعْـجَـابِـهـا
ورأَيـتَ قَـدْري فـي الـبـريَّـة خـامـلاً
فـجـعـلـتَ قَـدْرِي فـي الـبَـرِيَّـة نَـابِـهـا
فـلَـيْـشـكُـرنَّـك مِـقْـولـي عـن مُـهْـجـةٍ
نَـادت فـكـان نَـداك رَجْـعَ جَـوابـهـا
شَـكَـرتْـكَ نـفـسٌ أَنـتَ أَصْـلُ حياتـها
وبَـقـائِـهـا وطَـعـامِـهـا وشَـرابِـهـا

✱✱✱✱

(11)

وقال في تهنئته بولد رُزقه[1]:

[المنسرح]

وافَـــى سـلـيـلُ الـعـلا وقـد شـهـدَت
بمـا سَـمَـا مـن سِـمـاتِـه سِـمَـتُـهْ
مـن طـرَفـيـه طـابـت أَرومـتُـه
كـمـا عـلـت فـي الـكـرام مَكْرُمتُه[2]
أَبـوه عـنـد الـوزيـرِ مـالـكُ أَهـ
ـلِ الأَرض جـودًا وأُمُّـه أَمـتُـه

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 51.
(2)في الشطر الأول خلل عروضي.

(12)

ومن شعره في تهنئة الملك الناصر بالعافية من المرض[1]:

[الكامل]

نـظـر الـحـبـيـبُ إِلـــيَّ مـن طـــرفٍ خـفـي
فـــأَتـــى الـــشِّـــفَـــاءُ لـمـدنَـفٍ مـن مُـدْنـفِ
ودنـــــا فـسـكَّـن نـــــارَ قـلـبـي خـــدُّه
أَسـمـعـتُـمُ نـــــارًا بـنـــارٍ تَـنْـطَـفِـي
وأَرادَت الـعـبـراتُ عـــادةَ جَـرْيـهـا
أَو جـــرْيَ عـادَتِـهـا فـقُـلـتُ: لـهـا قِـفِـي
كُـفِّـي فـقـد جـــاءَ الـحـبـيـبُ لـمـا كَـفَـى
وصْـــلاً وعـاشِـقُـه المـــروَّع قـد كُـفـي
ومـلـيَّـةٍ بـالـحـسـن يـسـخـرُ وجْـهُـهـا
بـالـبـدرِ يـهـزأُ ريـقُـهـا بـالْـقَـرْقَـفِ

(1) هنأ الشاعر السلطان بهذه القصيدة بعد برئه من المرض في أواخر ذي الحجة سنة 581 هـ وأرسلها إلى القاضي الفاضل في دمشق ليقدمها إلى السلطان، وكان قد أرسل إليه قبلها قصيدته السينية، وتأخر رد الفاضل عليها وتقديمها إلى السلطان وقد أشار إلى ذلك ابن سناء في هذه القصيدة، وقد ورد في «فصول الفصول» رسالة القاضي الفاضل إلى ابن سناء الملك يقرظ فيها هاتين القصيدتين، وقد جاء في هذه الرسالة قوله: «فالمعلقات بعدها زادت على عدتها، وفضلتها هذه بجودتها وجدتها، فأما الفائية فالوأواء عندها فأفاء. ولو استعطفت الفصاحة العربية الألسنة العربية بكلمة منها لعطفت وانعطفت، ولو أن البلاغة حلة لكان لابسها ولو أن الشعر حلبة لكان فارسها.. إلخ» (ديوان ابن سناء الملك، ص 200).

لا أَرتـضـي بـالـشَّـمـس تـشـبـيـهًـا لـهـا
والـبـدرِ بـل لا أَكـتـفـي بـالـمـكـتَـفـي
الحـسـنُ تـبـرِزُه بـغـيـر تـصـنُّـعٍ
والمِـلْـحُ يُـبـرِزهـا بـغـيـرِ تَـكَـلُّـف
تـتـلـو مـلاحـتُـهـا مـحـاسِـنَ وجْـهِـهـا
فـتُـريـكَ مـعـجِـزَ آيَـةٍ فـي الـزُّخْـرفِ
أَنـا أَنْـثَـنـي عـنـهـا لِـئَـلاَّ أَرْتَـوي
أَتَـظُـنُّ أَنِّـي أَشْـتَـهـي أَنْ أَشْـتَـفـي
لا سـار عِـشْـقِـي لا أَقَـام تـصـبُّـري
لا قَـلَّ مـعْ نَـيْـلِ الـوِصَـالِ تَـلَـهُّـفـي
يـا مـن تجـورُ لـقـد مـلـكـتِ فـأَسْـجِـحِـي
يـا مـن تُـهـين لـقـد غـنـيـت فـأَسْـعِـفـي
فـبـحـقِّ حُـسْـنـك يـا مَـلـيـحـةُ أَحْـسِـنـي
وبِـعـطـف قَـدِّك يـا نـحـيـلـةُ أَعْـطِـفـي
أَنـتِ الحـبـيـب عـطـفـتِ أَم لـم تـعـطِـفِ
وأَنـا الْمُحِـبُّ صـدفْـتِ أَمْ لـم تَـصْـدِف
فـتـقـول مـن هـذا وقـد سـفـكَـتْ دمـي
ظـلـمًـاوتـسـأَلُ عـن فـؤادِي وهْـي فـي
لا شـيءَ أَعـجـبُ مـن تـلَـهُّـبِ خـدِّهـا
بـالمـاءِ إِلاَّ حـسْـنُـهـا وتَـعَـفُّـفـي
مـاذا لـقـيـتُ مـن الـصُّـدودِ لأَنَّـنـي
أَلـقـى خـشـونَـتَـه بـقـلـبٍ مُـتْـرَف

والـقـلـبُ يـحـلِـفُ أَن سـيـسْـلـو ثـم لا
يَـسْـلـو ويَـحْـلِـفُ أَنَّـــه لَـــمْ يَـحْـلـف
قـسـمًـا أَقـــولُ ســـلاَ وإِنَّ سُـلـوَّه
فَـــرَحٌ لأَن جـــاءَ الـبـشـيـرُ بـيـوسُـف
جـــاءَ الـبـشـيـرُ بـــأَنَّ يـوسُـفَ قـد شَـفَـا
مـرضَ الـزَّمـانِ لأَنَّ يـوسُـفَ قـد شُـفِـي
جـــاءَ الـبـشـيـرُ بـيـوسـفٍ يمـشـي علـى
أَثَـــرِ الـبـشـيـرِ بـيـوسـفٍ أَوْ يَـقْـتَـفـي
مـا زالـــت الـبُـشْـرى بـيـوسُـفَ سُـنَّـةً
فـي الـدَّهـر لـم تُـخْـلَـفْ ولـم تَـتَـخَـلَّـفِ
كـــان الـمـلـطِّـفُ كـالـقـمـيـصِ أَلا تـرى
أَبْـصـــارَنـــا رُدَّت لـنـا بمُـلَـطِّـف
أَمـــــرٌ جـلـيـلٌ كـــان إِلاَّ أَنَّـــه
خـطـبٌ جـلـيٌّ ردَّه الـلُّـطْـف الخَـفـي
يـا ويـــحَ لـلأَسـقـامِ كـيـف اسـتَـشْـرفَـتْ
وسَـمـــتْ إِلـــى ذَاك المحـــلِّ الأَشْـــرفِ
أَتـظـن فـــي مَـلْـــكِ المـلـــوكِ طـمـاعـةً
خـابـت ظـنـونُـك فـاختـبـي أَو فَـاخْـتَـفـي
جـهـلـت وقـــد ثـابـت وتُـقْـبـل تـوبَـةٌ
عـــن زَلـــــةٍ مـــن جـــاهـــلٍ لـــم يَـعْـرف
مـا ضـــرَّتِ الجـسـمَ الـشـريـفَ نـحـافـةٌ
أَنّـــى وتـلـك سـجـيـةٌ فـي المـرْهـفِ

بـشِّـرْ بـصِـحَّـتـه الـبـسـيـطـةَ ثـم قـل

قَـــرِّي فَـــطـــورُك ثـابـتٌ لـم يُـنْـسـف

وكـــذاك قـل لـلـبـدرِ يـا بـــدْرَ الـدُّجـى

لا وجْـــهَ أَن تـبـدو بـوجـهٍ أَكْـلـفِ

وأَشِـــــعْ بـشـائِـرَ بُـرئِـه ثـم انـظـروا

كَـمـدَ الـصـلـيـبِ بـه وبُـشْـرى المـصـحَـفِ

حـاشـاك مـن صَـــرْفِ الـزمـان فـإِنـه

بـك فـي الأَعـــادِي مَـالَـه مِـن مَـصْـرف

وقـــدِ اصـطـفـاك الـلـهُ نـاصِـرَ دينـه

فـنـصـرتَ ديـنَ المـصـطـفَـى والمـصـطَـفـي

وحـمـيـتَ رسْـم الـديـنِ مـن أَنْ يَمَّـحـي

ومـنـعـتَ نـورَ الـشَّـرع مِـنْ أَنْ يَـنْـطَـفـي

وجـعـلـتَ أَكـبـرَ كَـافـرٍ مـتـنـصِّـرٍ

يـعـنـو لأَصـغـرِ مُـسـلـمٍ مُـتَـحـنِّـف

وسـلـلـتَ سـيـفًـا مُـصْـلـتًـا لـلـمـعـتدِي

وصـبَـبْـت سـيْـبًـا مـرسَـلاً لـلـمـعْـتفـي

والـلـــهُ أَكـــرمُ أَن يـضـيِّـعَ أُمَّـــةً

أَمِـنَـتْ بـعـدلِـكَ بَـعْـد طـول تَـخَـوُّفِ

ولـقـد نـــذرتُ عـلـى شـفـائِـك حِـجَّـةً

ولـقـد شُـفـيـتَ فـقـد تـعـيَّن أَنْ أَفـي

سـهَّـلـتَ لـي حَـجِّـي فـمِـنْـك مُـوصِّـلـي
لِـنَّـى وجـــودُك مُـوقـفـي فـي الْـوَقِـف
ولـئـن تَـيـسَّـر مَـــعْ رِكـــابِـــك قَـــابِـــلاً
حَـجِّـي فَـيـا فَـــوْزِي بـأَجْـرٍ مُـضْـعَـفِ
إِنِّـــي بـــذا أَدْعـــو وأَســـأَل مُـلْـحِـفًـا
والـــلـــهُ لـيـس يـــردُّ دعـــوةَ مُـلْـحِـف

✷✷✷✷

(13)

وقال في تهنئة القاضي الفاضل بمناسبة قدومه من الحج[1]:

[الكامل]

نَـعِـمَ المـشـوقُ وأَنـعـمَ المـعـشـوقُ
فـالـعـيـشُ كـالخَـصْـرِ الـرقـيـق رقـيـقُ
واهًـا عـلـى الخـصـر الـرَّقـيـق وإِنَّمـا
قـطـعَ الحـديـثَ حـديـثُـه المـوثـوقُ
خَـصْـرٌ أُديـرَ عـلـيـه مِـعْـصَـمُ قُـبـلـةٍ
فـكـأَنَّ تـقـبـيـلـي لَـه تَـعْـنِـيـقُ
ونَـعـمْ لـقـد طـرقَ الحـبـيـبُ ومـا لَـه
إِلا خـدودُ الـعـاشـقـين طـريـقُ
فـرشُـوا الخـدودَ طـريـقَـه وكـأَنَّمـا
زَفـراتُـهـم لِـقـدومِـه تَـطْـرِيـق
حـلَّـى الـبـعـادُ دُنُـوَّه فـلـربَّمـا
كـانَ الـشَّـقـاءُ إِلـى الـنَّـعـيـمِ يَـسُـوق
وافَـى وصُـبْـحُ جـبـيـنِـه مُـتَـنَـفِّـسٌ
وأَتَـى وجِـيـدُ رَقـيـبـه مَـخْـنُـوق

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 206.

يُملي تعاليقَ العِتاب وقبلَها
لَمْ أَدْرِ أَنَّ فؤادَه تَعْلِيق
وصنعتَ فِيَّ صِناعةً شِعريَّةً
فالصَّدرُ يرْحُب والعِناقُ يَضِيقُ
وفنيتُ من طربٍ وقد أَفْنى فَمِي
ريقًا له يَجْري عليه الرِّيقُ
وضممتُه الضَّم العنيفَ فقال لي:
لا قلتُ إِنَّك يا رفيقُ رفيقُ
وهممتُ بالعذرِ الَّذي تصحيفُه
فيه وما كُلُّ الوَفاءِ يَليقُ
وغدًا يُطارِدُني ولا يحلُو الهوى
حتَّى يطاردَ عاشِقًا معشوق
فصبرتُ أَو عجبَ الغرامُ وما درى
أَنِّي على أَخلاقِه مَخْلوقُ
في مجلسٍ مَطرُ الكؤوس بربْعه
وَبْلٌ، وغَيْمُ النَّدِّ فيه صَفِيقُ
وكأَنَّما النَّدُّ الذَّكِيُّ غُلالةٌ
فيها بُروق البابِلِيِّ خُروقُ
وأَتى الحبيبُ بكأَسِه وكأَنَّها
شَفَقٌ يُقرِّبه إِليه شَفِيقُ
فشربتُها شَغَفًا لأَنَّ نسيمها الـ
ـمسكيَّ من أَنفاسِه مَسْروق

وجـهـلـتُـهـا وعـلِـمْـتُ أَنَّ رُضَـابَـه
راحٌ وأَنَّ لِـسـانَـه إِبْـريـق
يـا مـن أَدار وقَـدْ أَدار عـقـولَـنـا
كـأَسًـا يَـرِقُّ شـرابُـهـا ويـرُوق
بـين الـرِّيـاضِ وبـيْن وجـهـك نِـسـبَـةٌ
فـالآسُ تُـربٌ والـشـقـيـقُ شَـقِـيـق
سُـقـيًـا لـدارك وهْـي دارةُ بَـدْرِنـا
ولـه غُـروبٌ عـنـدهـا وشُـروق
يـا دارُ كَـمْ طـرِبَـتْ إِلـيـكِ نُـفوسُـنـا
شـوقًـا فـلا طَـرِبَـتْ إِلـيـكِ الـنُّـوقُ
ولـقـد نـأَيـتِ فـضـقـتُ ذَرْعًـا إِذْ أَتـى
عـبـدُ الـرَّحـيـم فـزالَ عَـنِّـي الـضِّـيـقُ
فـالـقـلـبُ مـن أَسْـرِ الـهـمـومِ مـخـلَّـصٌ
والـطَّـرفُ مـن رِقِّ الـسُّـهـادِ عَـتـيـقُ
قَـدِمَ الأَجَـلُّ عـلـى أَجـلٍّ سـعـادةٍ
تـصـبُـو لـوجـهِ لـقـائِـه وتَـتُـوق
قـدمَ الـسُّـرورُ مـهـنِّـئًـا بـقـدومِـه
وأَتـى يُـبَـشِّـرُنَـا بِـه الـتَّـوفِـيـقُ
فـالـدَّهـرُ مـعـتـذِرٌ بـيـوم لِـقـائـه
ممَّـا جَـنَـاه بـيـومِـه الـتَّـفْـرِيـقُ
والـصـبـحُ فـي شَـفَـةِ الـظَّـلام تَـبَـسُّـمٌ
والـشَّـمـسُ فـي ثَـوب الـسَّـمـاءِ خَـلُـوقُ

سُـــرَّت بمـقـدمِـه الـسـمـاءُ فَـثَـوبُـهـا
فـــوقَ الخـــلائِـــق بـــالخَـــلُـــوق خَـلِـيـقُ
ركـــبَ الـطـريـقَ فسـهَّـل الـتسـهـيلُ فـي
تِـلـــكَ الـطـريـــقِ وعـــــوَّق الـتـعـويـقُ
لا غَـــرْوَ أَن سَـعِـدت طـريـقُ رِكـابـه
فـالـسَّـعـد عـبـدٌ والـــرَّشـــادُ طَـريـقُ
وأَتـــى إِلـــى الـبـيـتِ الـعـتـيـق ووجـــدُه
وهـــــواهُ بـالـبـيـت الـعـتـيـقِ عَـتـيـقُ
وردَ المـنـاهِـلَ وهْـــي مِـلـحٌ مـاؤُهـا
وكـــأَنَّـــهـــا فـــي رَاحَـتـيـــه رحـيـقُ
ويـكـــادُ يَـرويـــه الـســـرابُ كـرامَـةً
والـــــرَّيُّ فـي بـحـر الـسَّـــراب غـريـقُ
ومـضَـى وعـــاودَه كـمـا قَـدْ عـــاوَد الـ
ـمـعـشـوقُ مـن بـعـد الـفِـراق عَـشِـيـقُ
أَهـــدى لـه الـبـدرُ الـنـضـارَ تـصـدُّقًـا
والـــرسْـــمُ أَن تُـــهـدَى إِلـيـه الـنُّـوق
وغـــدا الخـــلائـقُ فـي مُـنًـى تحْـلـيـقُـهـم
ولـــه عـلـى أُفْـــقِ الـسُّـــهـا تَحْـلـيـق
إِن جـلَّ هـــذا الـفـعـلُ مـنـه فـكَـم له
مـعـنًـى جـلـيـلُ الـقـدرِ وهـــو دقـيـقُ
وأَمـــــامَ مـا يُـبْـديـه مـن أَلْـفـاظِـه
رأَيٌ يَـشـــفُّ وراءَه الـتـوفـيـقُ

لــولا اعـتـقـادِي لـلـشَّـريـعـةِ مُـخْـلِـصًـا
مـــا قـلـتُ إِنَّ كـــلامَـــه مـخـلـوقُ
وَرِثَ الـسِّـيـادَة كـابـرًا عـن كـابـرٍ
فـالـعِـرْقُ فـي أَفْـــق الـعَـــلاءِ عَـريـقُ
مـعـنَـى الـرِّئَـاسـةِ فـيـه بِـكـرٌ لا كَمن
مـعـنَـى الـــرِّئَـــاسَـــةِ عـنـده مـطـروقُ
الحُـــكـــمُ فـصـلٌ والـــكـــلامُ مـفـصَّـلٌ
والـــوجـــهُ طـلْـقٌ والـــنَّـــوالُ طـلـيـقُ
مـتـعـمِّـقٌ فـــي الجـــودِ لـــولا جـــودُه
مـا كـان يُـشـكـر فـي الـــوَرى الـتَّـعـمـيـقُ
لا يـسـتـقـرُّ المـــالُ فـــوقَ بَـنَـانِـه
حـتَّـــى كـــأَنَّ بـنـانَـه مـــخـــروقُ
سـبـقَ الـكِـرامَ ومـا ارْدهـــى متكبِّرًا
حـتَّـــى ظـنَـنَّـا أَنَّـــه مـسـبُـوق
يـا طـالـبـين ذُرا عُـــلاه تـوقَّـفُـوا
ومـؤَمِّـلـين نَـــدى يَـديْـه أَفِـيـقُـوا
لـو رَامـــت الـشَّـمْـس المـنـيـرةُ شـأْوَه
يـــومَ الـفَـخَـار لـعـاقَـهـا الـعـيُّـوق

****

(14)

وقال مهنئًا بمولود جديد[1]:

[الرجز]

أَهـــــلاً بـــه مـــن ولـــــدٍ مـــبـــاركٍ
يـسـلُـك مـن طُـــرْق أَبـيـه مـا سـلـكْ
بـــدرٌ جـــلا عـنـا الـــدَّيـــاجـــيَ نـــورُه
وكَـــمْ مَـحـا ضـــوءُ أَبـيـه مـن حَـلَـك
بِـــشَّـــرَتِ الـعَـلـيـا بـــه والـــــدَهُ
بـــشـــارةً تـــعُـــمُّ أَرضًـــــا وفَـلـك
قـــالـــت: لـقـد نـلـتُ بـــه مـــن أَمَـلـي
فـبـلِّـغ الـلـه تـعـالـى أَمَـــلَـــك
فـكـلُّـنـا أَصـــبـــحَ مـــســـرورًا بـه
لأَنَّـــــه قُـــــرَّةُ عـــينٍ لـــي ولـك

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 220.

(15)

وقال يهنئ الملك العادل بسنة جديدة[1]:

[المتقارب]

أَلا أَيُّـــهـــا المـــلِـــكُ المـــشـــتَـــرِي
قـــلـــوبَ الأَنـــــــامِ بـــأَمْـــوَالِـــه
ومـــن أَوْسَـــــعَ الخَـــلْـــقَ مـــن فـضْـلِـه
وجـــــــادَ عـلـيـهـم بِـــأَفـــضـــالـــه
فـــبـــذْلُ الـــنَّـــوالِ عَـــلَـــى ذِكْـــــرِه
وحَـــــــوْزُ الـــثَّـــنَـــاءِ عـلـى بـالِـه
أُهـــنّـــيـــكَ عـــامًـــا أَتـــى مُـــقْـــبِـــلاً
يَمُـــــــتُّ إِلـــيـــك بـــإِقْـــبَـــالِـــه
ومـــا زال مـشـتَـغِـلاً عـن سـواك
ولُـــقـــيـــاك أَكـــبـــرُ أشـــغَـــالِـــه
وقـــد كـنـتُ هـــنَّـــأْتُ مِـــنْ قـبـلِ أَنْ
يـــقـــومَ الـــبَـــشِـــيـــرُ بـــإِهْـــلاَلِـــه
تَـــفَـــاءَلْـــتُ ثـــم رَجَـــــا خـاطـري
بـــشـــارةَ مـــا صـــحَّ مـــن فـــأْلِـــه

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 263.

وأَصـــبـــحَ يـــأمُـــلُ فـــي حَـــوْلِـــه

ويـــرجُـــو الـــنَّـــبـــاهـــةَ فـــي حَـــالِـــه

وإِنَّـــــك يـــا أَكـــــرمَ الأَكـــرمـــين

مَـــلـــيٌّ بـــتـــحـــقـــيـــق آمَـــالـــه

فـــدُمْـــتَ ولا زلـــتَ فـــي نِـــعْـــمَـــةٍ

تُـــهـــنَّـــأُ فـــيـــهـــا بـــأَمْـــثَـــالِـــه

✶✶✶✶

(16)

وقال يمدح القاضي الفاضل ويهنئه بالولد الأشرف[1]:

[الطويل]

هـــلالٌ ولـكـنَّ الـسـعـودَ مـنـازلُـهْ
ونـهـرٌ ولـكـن الـبـحـارَ جَـدَاوِلُـه
بـدا فـاسـتـضَـاءَ الآمـلـونَ بـضـوئِـه
لمـــورِده الـصَّـافـي عـلـيـهـم مـنـاهِـلُـه
سـيـرجـعُ بـدرًا لـيس يُـخْـشـى أُفـولُـه
ويـرجـعُ بـحـرًا لـيس يُـعْـرف سَـاحِـلُـه
تـخـطَّـى وتـوفـيـقُ الإلـه دلـيـلُـه
إلـى بـيـتِ عِـزٍّ شَـيَّـدتْـه أَوائِـلُـه
وصـدَّق قـولَ الـواصـفـيَن فـإنـهـم
إذا وصَـفـوه صـدَّقَـتْـهـم شـمـائـلُـه
ولـو كَـتَـم الحـسَّـادُ بـعـضَ خِـلالِـه
وأَوصـافَـه نمَّـت عـلـيـهـا مـخـائِـلـهْ

---

(1) من مجموعة القصائد التي وجهها إلى القاضي الفاضل قبل أن يغادر القاهرة في نهاية سنة 577هـ، وربما قال هذه القصيدة سنة 573 هـ لأن ولده الأشرف قد ولد في هذه السنة (وفيات الأعيان ترجمة القاضي الفاضل) وقد بدأ الشاعر هذه القصيدة بوصف الهلال والنهر. وهذا من براعة الاستهلال إذ إنه يشير إلى المولود بأخفى الإشارة (ديوان ابن سناء الملك، ص 267).

فـكـاد يُـرى وسْـط الـنـديِّ سـريـرُه
وكـاد يُـرى فـي سُـدَّةِ الـبـابِ سَـائِـلُـهُ
وتُـتْـلـى بِـشَـرقِ الأَرضِ والـغـربِ كُـتْـبُـه
وتَـنْـفُـذُ فـيـهـا رُسْـلُـه ورسـائِـلُـه
ومـا قـلـتُ إِلا مـا الحـسـودُ مُـوافِـقـي
عـلـيـه، وقـد صـحَّـت لـديـه دلائـلُـه
فـبـشـراكَ يـا مـولَـى الأَنـامِ بـقـادمٍ
إِلـى قـمـةِ الـعـلـيـاءِ تُـطْـوَى مـراحِـلُـه
أَتـاك كـريمَ الـنـفـسِ والـصَّـحـب فـالـعُـلا
تُـسـايِـره والمـكـرمـاتُ تُـعَـادِلُـه
قضـى اللـهُ أَن يـبقَـى وتـبْـقَـى وقـد قَـضَـى
لِـقـالِـيَّ إِنِّـي قـائـلٌ وهـو فـاعـلُـه
وأَنـك مـولًـى لا يُـرَدُّ مُـرادُه
وإِنِّـيَ عـبـدٌ لا تُـردُّ وسـائِـلُـه
دعـوتُ بمـا قـد كـان قـبـلَ كِـتَـابِـه
وأَيـقـنـتُ أَنَّ الـلـهَ لا شـكَّ قـائِـلُـه
سـتَـبْـلُـغُ مـنـه كـلَّ شَـيءٍ تـريـدُه
وتـبـلـغُ نـفْـسـي مـنـكُـمـا مـا تحـاوِلُـه
فـمـا أَنـا إِلا مُـشـمِـسٌ أَنـتَ ظِـلُّـهُ
ومـا أَنـا إِلاَّ مُـجْـدِبٌ أَنـت وابِـلُـه
ومـا الـدَّهـرُ إِلا خـادِمٌ أَنْـتَ رَبُّـه
ومـا الخـلـقُ إِلاَّ عـالَـمٌ أَنـت فـاضِـلُـه

****

(17)

وقال يهنئ الملك الأشرف بن الفاضل بولد رزقه[1]:

[الخفيف]

أَيُّ نَجْـــلٍ بـل أَيُّ نَجْـــمٍ سَـعِـيـدٍ
أَســعــد الــلــهُ كــلَّ مــن يــرتَجِـيـه
فــهــو المــشْــتَــرى وإن بــذل الأُفــ
ــقُ لـنـا مُـشـتَـرِيـه مـا يَـشْـتـريـه
لــم أُهَــنِّــئْ بــه سِــوَايَ فـإِنـي
أَنــا أَولَــى بــأَن أُهَــنَّــأَ فِـيـه
وهَــنــانِــي بِــطُــولِ عُــمــري لأَنِّــي
كــنــتُ هَــنَّــأْتُ جــدَّه بــأَبـيـه

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 360.

باب الغـزل

(18)

ومن شعره متغزلاً وهو مما نظمه وهو في الإسكندرية[1]:

[الطويل]

أَبــى الـقَـلْـبُ إِلاَّ أَن يَـبِـيـتَ بِــه صبّا
وهَـيْـهَـاتَ صـبٌّ أَنْ يُـلاَقـي لـه قَـلْـبَـا
سَـبـى الـقـلـبَ مـنـي لَحــظُ ظَـبْـيٍ أُحـبُّـه
فـيـا قـلـبُ مـا أَصْـبـى ويـا لَحْـظُ مـا أَسْـبـى
أُحِــسُّ لـه وقْـعًـا ولا وقْــعَ فـي الحَشَـا
وطـعـنًـا ولا طـعـنًـا، وضـربًـا ولا ضَـربـا
وقــالــوا تـغَـيَّـبْ تَـسْـلُ عـمَّـن تُحـبُّـه
فـكـنـتُ كـأَنِّـي غِـبْـت أَسـتَـحْـضِـرُ الحُـبَّـا
وَثَــبْــتُ بِــطَــرْفَــيْ رَحْــلــهِ فـكـأَنَّـه
تـعـلَّـم مـن دَمْــع الجـفـونِ بــيَ الـوثـبـا
دمــوْعٌ جَــرَتْ مـن بَـعْـدِ كـسْـرة جَـفْـنِـه
تُـعَـلِّـمُ دَمْـعِـي فـيـه أَن يَـكْـسِـرَ الـهُـدْبَـا
عَـتِـبْـتُ عـلـيـه بـالـصُّـدودِ فـلـم يَـعُـد
بـعَـتْـبـي فـصـيّـرتُ الـفـراقَ هُـو الـعَـتْـبَـا
وكَـيْـفَ سُـكُـونـي بَـعْـد بُـعْـدِي لِحـفْـظِـه
بـعَـهـدي وقِـدْمًـا كُـنْـتُ أَتَّــهِــمُ الـقُـرْبَـا

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 362.

وقـــال أَمِـــن بَـــابِ الـتَّـفَـرُّقِ بـيْـنَـنَـا
دخـلـتَ إِلـى الـسُّـلـوانِ قـلـتُ نَـعْـم مِـنْ با
وهَـيْـهَـات أَسْـلُـو بـعـد أَن ضَـــرَبَ الْـهَـوى
بـــأَغْـــرَبـــه قـطْـعًـا وأَقْـطَـعـــه غَـرْبَـا
صَـديـتُ إِلـى أَن كـاد يُـغْـنِـيـنـيَ الـصَّـدَى
إِلـــى ريـــقِ ثَـغْـرٍ كُـنْـتُ أَفْـنَـيْـتُـه شُـرْبـا
وهـــبَّ اشْـتِـيـاقـي مَـــنْ كَـــراهُ ولـم يَـكُـن
يـنـبِّـهُـهُ إِلاَّ الـنَّـسـيـمُ الَّـــذِي هَـبَّـا
تـولَّـى سُـلـوِّي لـلـبِـعَـاد الـــذِي أَتَـــى
وشَـــابَ اصـطِـبَـارِي لـلـغـرَام الـذي شَـبَّـا
ولا ذَنْـــبَ لـي إِلاَّ هَـــوَاهُ وإِنْ يَـكُـنْ
فَـلاَ تُـبْـتُ مِـنْ ذَنْـبـي ولا غَـفَـر الـذَّنْـبـا

****

(19)

ومن شعره متغزلاً[1]:

[مجزوء الرجز]

يـــا ويْـــــح نـــفـــسٍ عَـــشِـــقَـــتْ
مِـــصـــريـــةً تـــدمْـــشَـــقَـــتْ
ســـــــاذِجـــــــةً لـــكـــنَّـــهـــا
بـــــالحُـــسْـــنِ قـــد تَـــزوَّقـــت
كـــالـــشَّـــمْـــسِ حـــين شـــرَّقـــت
والـــشَّـــمْـــسِ حـــينَ أَشْـــرَقَـــت
والـــــرَّوضَـــــةِ الـــغـــنَّـــاءِ حِـــيْـــ
ـــــنَ أَزْهَـــــــــرت وأَوْرَقـــــــــتْ
وتَـــبَّـــعـــتْ بـــــدرَ الـــدُّجـــى
فَـــلَـــحَّـــقَـــتْ وسَـــبَّـــقَـــتْ
كـــأَنَّـــهـــا مـــن جَـــنَّـــةِ الْـــ
ـــخُـــلـــدِ إِلـــيـــنـــا طَـــرَقَـــتْ
أَو غَـــفِـــل الحـــــارسُ فـــي الْـــ
ـــجـــنَّـــة حـــتـــى سُـــرِّقَـــتْ
كـــم وعـــــدت وكـــــذَّبَـــتْ
وأَوعَـــــــــــدَتْ وصَـــدَّقَـــتْ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 368.

وعـــاقَـــبَـــتْ ومـــا ارْعَـــــوَتْ
وقَـــتَّـــلَـــتْ ومـــا اتَّـــقـــت
وســـــوَّفَـــتْ ومـــا وَفَـــتْ
وأَعْـــطَـــشَـــتْ ومـــا سَـــقَـــتْ
وســـــدَّدت أَسْـــهُـــمَ عَـــتْـــ
ـــبٍ بـــالـــتـــجَـــنِّـــي فَـــوَّقَـــتْ
وأَمْـــطَـــرَتْ دمْـــعَ لآ
لٍ كـــالـــلآلـــي نُـــسِّـــقَـــتْ
فـــبـــالـــعِـــتَـــابِ أَرْعَـــدَتْ
وبـــالـــثَّـــنَـــايـــا أَبْـــرَقَـــتْ
فـــكـــم لـــهـــا مـــن تـــائِـــبٍ
تَـــوْبَـــتُـــه قَـــدْ أَبِـــقـــتْ
وكـــم لـــهـــا مـــن مُـــقْـــلَـــةٍ
بِـــدَمْـــعِـــهـــا قـــد شَـــرِقَـــتْ
وكـــم لـــهـــا مـــن مُـــهـــجـــةٍ
بـــنـــارهـــا قـــد حُـــرِّقَـــتْ
وكـــم لـــهـــا مـــن عَـــاشِـــقٍ
لِحْـــيـــتُـــه قـــد حُـــلِـــقَـــتْ
هـــوِيـــتُ مـــنـــهـــا عُـــلـــقـــةً
مـــن نَـــظْـــرةٍ تَـــعَـــلَّـــقَـــتْ
تـــقـــنَّـــعَـــت تَـــعَـــمَّـــمـــتْ
تـــســـوَّرتْ تَمَـــنْـــطَـــقَـــتْ
ظـــبـــيٌ إِذا مـــا سَـــكَـــتَـــتْ
وظـــبـــيـــةٌ إِن نَـــطَـــقَـــتْ

وزوّدَتْ لحـــيـــةَ مِـــسْـــ

ـــــكٍ نـــفـــحَـــت وعَـــبَّـــقَـــتْ

ومـــــا اكـــتـــفـــت بِـــكَـــتْـــب نُـــو

ن الـــــصُّـــــدْغِ حـــتـــى مَـــشَـــقَـــتْ

قـــد عَـــلِـــقَـــتْ نـــفـــسِـــي بِـــهـــا

وهْـــــــيَ بـــنـــفْـــســـي عَـــلِـــقَـــتْ

ولـــــم تَـــــــدعْ لـــــي رَمَـــــقًـــــا

بـــــالـــــطَّـــــرْفِ حِـــــــينَ رَمَـــــقَـــــتْ

قـــــد خُـــــلِـــــقَـــــتْ لِحْـــنـــتـــي

يـــــا لَـــيْـــتَـــهـــا مـــــا خُـــلِـــقَـــتْ

****

(20)

ومن شعره في الغزل[1]:

[الطويل]

بحقِّكَ حدِّثْ عَنْ هوايَ ولا حرجْ
هوًى دخل القلْبَ المعنَّى وما خَرَجْ
هوًى حلَّ عقْدَ القلبِ أَو حلَّ بالحشا
ولَجَّ على بابِ السُّويْداءِ إِذ ولجْ
بنفْسِي مصقولُ السوالِف مرهَفُ الْـ
ـمعَاطِف مِسْكِيُّ المراشِفِ والأَرَجْ
ثناياهُ لا تَفْلِيلَ فيها ولا شغًى
وقامتُه لا أَمْتَ فيها ولا عِوَجْ
رماني ومِن أَجْفانه السَّهمُ صائِبًا
ومن حاجبَيْه القوسُ والقصْبة البلَج
وفي يدهِ المحْيَا وفي خدِّه الحَيَا
وفي فمه السُّقْيا وفي وجْهه الفَرَجْ
وفي الفَمِ منِّي قبلةٌ منه ذقتُها
وها مِسْكُها باقٍ بِه ولها حُجَجْ
له سُبَحٌ من عنبرٍ فوق خدِّه
وتصحيفُها في عارضَيْ وجهه سُبَجْ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 372.

وقــد حــرَّر الــنَّــظَّــامُ جــوهــرَ ثَــغْــرِه
أَلــســتَ تَــــراه قــد تَــقَــسَّــم بــالــفَــلَــج
وأَخــــربَ بــيــتَ الــبــدرِ مــن حــسْــنِ وجــهِــه
وكُــلــفَــتُــه كــالــعــنــكــبــوتِ بــه انْــتَــسَــج
ومــن كَــرِه الــهَــيْــجــاءَ واخــتــار عِــشْــقــه
كــمــنْ حَــــذِرَ الأَنــهــارَ واقــتــحــم الــلُّــجــجْ
وكــــم لائــــمٍ لــــي مــــا رآه جــهــالــةً
فــلــمــا رآهُ مــــاتَ عِــشْــقًــا ومــا اخــتــلَــجْ
فــأَمَّــا اصْــطِــبــارِي عــن هــــواهُ فــقــدْ ثَــوى
وأَمَّــــا غَــرامِــي فــي سِــــوَاه فــقــد دَرَجْ
فــــإِن قــلــتَ لــي إِنَّ الــمُــشُــوقَ بــه سَــلا
لــقــد قــلــتَ لــي إِنَّ الــسُّــلَــيْــكَ بِــهِ عَــرَجْ
وقــد أُنْــفِــقَــتْ فــيــه الــذَّخــائُــر جَــمَّــةً
فــمِــنْــهــا الــعُــقُــولُ والــمــدامــعُ والمُــهَــجْ
ولــم يــغــتــصِــبْ تــلــك الــذخــائــرَ ظــالِــمًــا
ولــكــن لــذاك الحُــسْــنِ فــي أَخــذهــا حُــجَــجْ
إِذا جــــاءَه يــومًــا مــن الــنــاس خــاطــبٌ
فــمــا هــو مِــمَّــــنْ يــســتــعــدُّ لــه دَرَجْ

✱✱✱✱

(21)

ومن شعره في الغزل[1]:

[الكامل]

لام الـــعـــذولُ عـلـى هـــواكِ وفَـنَّـدا
فـــأَعـــادَ بـالـلَّـوْم الـــغـــرامَ كـمـا بَـدَا
رشـــأٌ قَـــدِ اتَّـــخَـــذَ الـضُّـلـوعَ كِـنَـاسَـه
والـقـلـبَ مـرعًـى والمـدامِـــعَ مَـــوْردَا
ثِـمـلُ الـقَـوام إِذا بَـدا وإِذا رَنَـا
فـضـحَ الـغـزالـةَ والـــغـــزالَ الأَغْـيَـدَا
كـــالْـــوَرْدِ خـــدًّا والـــهِـــلالِ تَـبـاعُـدًا
والـظَّـبْـيِ جِـيـدًا والـقَـضِـيـبِ تـــأَوُّدَا
مُـتـرنِّـحُ الأَعـطـافِ مـن خَـمْـرِ الـصِّـبَـا
أَو مـا تـــراهُ بـالـلِّـحـاظِ مُـعَـرْبِـدَا
أَيـقَـنـتُ أَنَّ مـن المـدَامَـــةِ ريـقَـهُ
لَّـــا بَـــدَا دُرُّ الحَـــبَـــابِ مُـنَـضَّـدَا
وعَـلِـمْـتُ أَنَّ مـن الحـديـدِ فـــؤادَهُ
لـمـا انْـتَـضَـى مِـــنْ مُـقْـلَـتَـيْـه مـهـنَّـدا
سـيـفٌ تَـــرَقْـــرقَ فـي مـيـاهِ فِـرِنْـدِه
يـأَبَـى بـغَـيْـر جـوانـحـي أَنْ يُـغْـمَـدَا

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 383.

مَــنْ مُـنْـصِـفِـي مــنْ جَـــوْرِهِ فلقد عُني
بــدمـــي وســـيـــفَ لحـــاظِـــه مـتـقـلِّـدا
زُرقُ الأَسِـــنَّـــةِ فـي الـــرِّمـــاح فـلـم أَرَ
فـي رُمْـــح قـامَـتِـهِ سِـنَـانًـا أَسْـــوَدَا
آنـســـتُ مــن وجـــدي بـجـانـب خَـــدِّهِ
نـــارًا ولـكـن مـا وَجَـــدْتُ بـهـا هُـدَى
مـــتـــورّدُ الـــوَجَـــنَـــاتِ مـا حـيَّـيْـتـهُ
إلاَّ ارتـــدى ثـــوبَ الحَـيـــاءِ مُـــورَّدا
أَلـقـيـتُ إكـسـيـرَ الـلِّـحـاظِ بِـخَـدِّه
فـقـلـبـتُ فِـضَّـــةَ وَجْـنَـتَـيْـه عَـسْـجـدَا

****

(22)

ومن شعره في الغزل[1]:

[الكامل]

إِنـــي وحـــقِّـــكَ مـــا لِـــصَـــبْـــرِي أَوّلُ
لـــمّـــا نـــأَيـــتَ ولا لـــهـــمِّـــيَ آخِـــرُ
فـلـئـن ســلــوتَ فـــإِنَّـــنـــي بِـــكَ وَالِـــهٌ
ولـــئـــن نـــســـيـــتَ فـــــإِنَّ قـــلـــبـــيَ ذاكـــر
والـلـلـه مـا وجـــهُ الـصَّـبـاحِ بِمُـسْـفِـرٍ
عِـــنْـــدي ولا بـــدرُ الـدَّيـاجـي سـافـرُ
وعـجـبـتُ لـلـكَـاسَـاتِ كـيـف تـبَـسَّـمَـتْ
فـــي مَـــجْـــلـــسٍ مـــا أَنـــتَ فـيـه حـاضـرُ
يـا لـيـتَ شِـعْـري كيف أَصْـبَـحَ عـنـدكُـمْ
قَـلْـبـي فَـقَـلْـبـي فـي الخـلـيـطِ مُـسَـافِـرُ
بـــل مـــرّ يـــسـبِـقُـهُ لأَنَّ أَحِـبَّـتِـي
لـمـا سَـــــرَوا رَكِـــبُـــوا وقـلـبـيَ طـائـرُ
هـجـم الـفـراقُ ووجـــهُ وَصْـلِـكَ ضَـاحِـكٌ
ودَنَـــا الـبِـعَـادُ وغُـصْـنُ قُـرْبِـكَ نَـاضِـرُ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 385.

أَلْبَسْتَني سُقْمَ الجُفُونِ وأَنْتَ لِي
بالبَيْنِ مثلُ الجفْنِ أَيْضًا كَاسِرُ
يا دمعُ لا تَمْنُنْ عليّ بنَصْرَةٍ
حسبي من الخِذْلان أَنَّك ناصرُ
لي في غرامي فيكَ لاحٍ واحدٌ
وإِذا أَرَدْتَ ففيك أَلفٌ عاذِرُ
ما كنتُ أَعلمُ أَنَّ مصرًا بابلٌ
حتى علمتُ بأَنَّ طرفَكَ ساحِرُ

✶✶✶✶

(23)

وقال في الغزل[1]:

[الرجز]

ذكـــرتُ والـقـلـبُ أَسـيـرُ الـذِّكْـرِ
لـيـلَـةَ وَصْـــلٍ سَـلَـفَـتْ مِـــنْ عـمْـرِي
أَقْـــصَـــرُ مـــن تجـلُـدي وصَـبْـري
رقَّـــت فـكـادت رقَّـــةً أَن تَجْـــرِي
كـأَنَـهـا مـخـلـوقـةٌ مـن شِـعْـرِي
تـفـضُـلُ عِـنْـدِي أَلْـــفَ أَلـــفَ شَـهْـر
مـا هـي إِلاَّ خـــالُ وجْـــهِ الـدَّهْـرِ
فَـضَـحْـتُ فـيـهـا بَـدْرَهـا بـبَـدْرِي
وبـــان فـيـهـا عـــذرُهـــا وعُـــذْرِي
وبـعْـتُ فـيـهـا صـحْـوَتِـي بـسُـكْـرِي
مـنْ خَـصِـر الـرّيـقِ رقـيـقِ الخَـصْـرِ
أَحـســنَ مـن سـلْـمَـى وأُمِّ عـمـرو
ذي مُـقْـلَـةٍ مـا فـتـرَتْ مـن فَـتْـرِ
قـد عُـوِّضـت مـن إِثْـمِـدٍ بـالـسِّـحـرِ
والـلـــهِ لـو كـــانَ إِلـــيَّ أَمْـــري
رمـيـتُ كَـسْـرَ جَـفْـنِـهَـا بِـجَـبْـرِ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 390.

لـعـلَّ أَن تَجْـبُـرَ مِـنـي كَـسْـري
وبـتُّ أُخْـفِـي ضـوءَ ذاك الـثَّـغْـر
كـي لا أَرُوعَ لَـيْـلَـتـي بـفَـجْـرِي
يـا لـيـلـةً قـد أَسـرفـتْ فـي بِـرِّي
مـضَـتْ ولـم يمـضِ عـلـيـهـا شُـكْـرِي
رُزِئـتُ مـنـهـا الـيـومَ خـيـرَ ذُخْـرِي
فـأَعْـظَـمَ الـلـهُ عَـلَـيْـهَـا أَجْـرِي

✱✱✱✱

(24)

وقال أيضًا[1]:

[الطويل]

غـدا الحـسـنُ شُـــورَى فـي المِــلَاح وإِنَّمـا
إِمـامُـهُـمُ مـن أُوتَـــي الحُـسْـنَ بـالـنَّـصِّ
ومَـــنْ وَجْـــهُـــهُ مـــعْ قـــدِّه مـــعْ رِدْفِـــه
هــلالٌ علـى غـصـنٍ يَمِـيـس علـى دِعْـصِ
أَرَاهُ بـعـيـدَ الـشَّـخْـصِ وهـو مُـعَـانِـقِـي
ومُـنْـحـرفًـا عـن طاعـتي وهْـو لا يَـعْـصِـي
تـسـوءُ ظُـنُـونـي حـين يَـحْـسُـنُ وجْـهُـهُ
فـاَخـذهُ مـن غـيـر بَـحْـثٍ ولا فَـحْـصِ
وأَظْـلِـمُـه وهـو الـبَـرِيُّ لأَغْـتَـدِي
بـجـائِـرِ لَـثْـمِـي أَسْـتَـقِـصُّ وأَسْـتَـقْـصـي
وأَقـطـعُـهُ بـالـعَـضِّ إِذ سَـــرَقَ الـكـرَى
كَـــرَى مُـقْـلَـتـي والـقـطـعُ يُـعْـرَفُ لِـلِّـصِّ
وأُذْبِـــلُ ورْدَ الخـدّ بـالـلَّـثْـمِ بـعْـدَمَـا
أَحـــومُ فـــأُدْمِـــي ذَلِـــكَ الـفَـمَ بـالمَـصِّ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 412.

حَـرَصـتُ بـأَن لا يَـعْـلَـقَ الـقـلـبَ حُـبُّـهُ
فَـيَـا وَيْـلَـتَـا مـا أَخـيَـبَ المـرَءَ بِـالحـرْصِ
ويـــومٍ مـطـيـرٍ قـد تـــرنَّم رَعْـــدُهُ
وصَـفَّـق لما أَحْـسَـنَ الـقَـطْـرُ فـي الـرَّقْـصِ
ورقـــعـــةِ مـــاءٍ تحـــتَ بُـــرْدٍ فـواقـعٍ
وأُفْـــقٍ غَـــدَا بـالـبَـرقِ يـلَـعـبُ بـالـفـصِّ
شَـــرِبْـــنَـــا عـلـى هـــذا وذاك مُـدامـةً
بَـدَتْ كالعَقِيقِ الـرَّطْـبِ والـذَّهَـبِ الـرَّخْـصِ
أُعِـيـدَ لـنـا فـي كـأْسـهـا شـخـصُ قَـيْـصَـرٍ
وكسْرى وكادت تبعثُ الـرُّوحَ فـي الشَّخْص
قَـيَـاصِـرَةٌ فـي قـصْـرِ كـــأْسٍ وربّمـا
مَـجَـنَّـا فَـقُـلْـنـا بـل صـعـالـيـكُ فـي خُـصِّ
كـذا الـــرّاحُ تِـبْـرٌ فـي لُـجـيـنٍ وإن تُـرِدْ
فـقـل هـي جِـنَّـاءٌ وبِـيـضٌ عـلـى بُـرْصِ
تمـلَّـكْـتُ دُرَّ الـقـولِ مـنـتـخِـبًـا لـه
فـأُدْنِـي الـذي أُدْنِـي وأُقْـصِـي الـذي أُقْـصِـي
إِلـيـكَ فـلا تُحْـصِـي الـذي أَنـا قـائـلٌ
فـقـوْلِـيَ لا يُـحْـصَـى وَعَـدُّك لا يُـحْـصِـي
تـزيـدُ عـلـى طـول الـلـيـالـي مَـحَـاسِـنـي
فـلا رُمِـيَـتْ تـلـك الـزيـادةُ بـالـنَـقْـصِ

✱✱✱✱

(25)

وقال يتغزل[1]:

[الكامل]

فـرَّطـتُ فـيـكَ فَـلـوْعَـتـي لا تَـنْـقَـضِـي
وذُهِـلْـتُ عَـنْـكَ فـحسرتي لا تَـنْقَضِـي
وصـــــددتُ عـنـك تجـنُّـبًـا وتـكـبُّـرًا
فـأَنـا المُحِـــبُّ فـعـلـتُ فـعـلَ المُـبـغِـض
الـــذَّنْـــبُ مِـنـي لـو وَفَـيْـتُـك لـم أَخُـــنْ
ولـــوَ انَّ قـلـبـيَ مُـقـبـلٌ لـم يُـعْـرِضِ
أَمَّـــا ضَـنَـائِـي عـن هَـــوَاكَ فَـقَـدْ دَرَى
كـيـفَ المـجِـيءُ ومـا دَرَى كَـيْـف المُـضِـي
وَمَـــنِ انْـتَـضَـى سـيـفَ الـفِـرَاقِ أَصـابَـهُ
فـأَنَـا وَحـقِّـك كـنـتُ ذاكَ المُـنْـتَـضِـي
إِنِّـــي قـتـلْـتُ عـلـيـك نـفـسـي حـسـرةً
ولـقـد رضـيـتُ فـليـتَ شِـعْـرِيَ هَـلْ رضِـي

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 414.

مــن يــوم أَن فــارقــتُ طــرفَــكَ أَســـودًا

لــم يــكــتــحــلْ طَــرْفِـــي بِـــيَـــوْمٍ أَبْـــيَـــضِ

ولَــكَـــم يُـــقَـــالُ تــركْــتَــهُ فَــعــدِمْــتَــهُ

فــأَقــول قـــولَ الــعــاجــزيــن كــذا قُــضِــي

****

(26)

ومن شعره في الغزل[1]:

[الكامل]

شُــكْــري لمــن أَحْــبَــبْــتُــه وهَــوِيــتُــهُ
شُــكُــرُ الـغَـلـيـل لـعـذْبِ مــاءِ المَـشْــرَعِ
يُــبــدي ويَــكْــتُــمُ لــلأَنــامِ تَــصَــوُّنًــا
إِلاَّ عَــلــيَّ وعــفَّــةً إِلاَّ مَــعِــي
فــإِذا رأَى غَــيْــرِي فــلــيــثُ خَــفِــيَّــةٍ
وإِذا خَــلَــوْتُ بِــهِ فــظــبــيُ الأَجْــرَع
وإِذا اشْـتـكَـى الـعُـشَّـاقُ سـكْـبَ دمُـوعِـهِـم
أَصـبـحـتُ أَشْــكُــرُ مِــنْــهُ جَــيْــشَ الأَدْمُــع
فَــوَقَــى المــذَكَّــرُ مِــنْــهُ كــلَّ مُــؤَنَّــثٍ
وفَــــدَى المُــعَــمَّــمُ مِــنْــهُ كــلَّ مــقَــنَّــع

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 416.

(27)

وقال أيضًا[1]:

[الكامل]

ومُـخَـيِّـمٌ بـين الحَـشَـا وشَـغَـافِـهِ
نـضَـبَـتْ بِـحـارُ الـشِّـعْـرِ فـي أَوْصَـافِـهِ
الـسِّـحْـرُ فـي لحـظَـاتِـهِ والـنَّـارُ فـي
وجَـنَـاتِـهِ والمـاءُ فـي أَطْـرَافِـهِ
مـبسـوطُ عُـذْرِ الـتِّـيـهِ أَنـصـفَ حُسْنُه
فـي تِـيـهِـهِ والجَـوْرُ فـي إِنـصَـافِـهِ
قـالـوا لـقَـدْ أَسْـرَفْـتَ فـيـه ومـا دَرَوْا
أَنَّ اقـتـصـادَ الـصَّـبِّ فـي إِسْـرَافِـه
عـانـقْـتُ مـنـهُ الـغُـصْـنَ قـبـل ذُبُـولِـهِ
وجـنـيـتُ مـنـه الـزَّهْـرَ قـبـل جَـفـافِـهِ
ولـثـمْـتُ سـالِـفـتـيْـهِ لـثْـمًـا لـم يـكُـنْ
لـولا وَسَـاطَـةُ سُـكْـرِهِ بِـسُـلافِـهِ
مَـزَّقْـتُ ثـوبَ الـنـومِ عـنـه ولـم أُطِـقْ
تمـزيـقَ ثـوْبِ الـسُّـكْـرِ عـن أَعْـطـافِـهِ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 418.

ورأَيـــــتُ لـــثْـــمَ الـــثَّـــغْـــرِ بـعـد مـئِـيـنِـه

مـــتـــدرِّجًـــا مِـــنْـــهـــا إِلـــــى آلافِـــــهِ

عِـشْـقـي مُـلُـوكِـيٌّ لأَنَّ مُـعَـذِّبـي

مـــا زالـــتِ الأَمـــــلاكُ مـــن أَسْـــلافِـــهِ

✶✶✶✶

(28)

وقال في الغزل[1]:

[الطويل]

عَشِقْتُ ومن هذا الذي ليس يَعْشَقُ
ولِمْ لا وقد هام الحَمَامُ المُطَوَّقُ
وإن كنتُ عُلِّقْتُ الحبيبَ فإنَّه
بقَلْبيَ من كل البريَّة أَعْلقُ
أَموتُ غرامًا حين أُحْرَم وصلَ مَنْ
هويتُ وأَحيا فرْحَةً حين أُرْزقُ
وإنَّ الفتى يَحْيَا بما قد يُميتُهُ
فبالماءِ يَحْيَا وهُوَ بالماءِ يَغْرَقُ
وإياكُمُ لا تُنْكِروا خفقَ قلْبِهِ
فقلبُ الذي يَسْعَى ويُخْفِقُ يَخْفِقُ
وليسَ المُعنَّى بالحبيب بواثقٍ
وإنَّ المُعنَّى بالحبيب لَموثقُ
هدى بثنايَاهُ وضَلَّ بِشَعْرِهِ
فكادَ بِقَوْلِ المانَوِيَّةِ يَصْدُقُ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 419.

أَبَـــدْرَ الـدَّيـاجـي إِنَّ بَـــدْرِيَ زَائِـــدٌ

وأَنـــتَ عـلـى الأَيَّـــام تُمْـحَـى وتُمْـحَـقُ

تحـلَّـقَ شَـعْـرُ الـصُّـدْغِ مـن فـوقِ خـدِّه

فـــأقْـبَـلَ قَـلْـبـي نـحـوه يَـتَـحـلَّـقُ

فـلـولا نـــداهُ أَحْـــرَقَ الـصـدغَ جَـمْـرُهُ

فـبـاتَ عـلـى الـنَّـار الـنَّـدَى والمحـلَّـقُ

وخَـــدْشٌ عـلـى خَـــطِّ الـــعِـــذَارِ كـأَنَّـهُ

كـــلامٌ عـلـى سَـطْـرٍ مـن الخـطّ مُـلْـحَـقُ

بِـحَـقِّـكَ احْـمِـلْ لـي عـلـى الـصُّـدْغ قُبْلـةً

فـخـدُّكَ مـــاءٌ فـيـه صُـــدْغُـــكَ زَرْوَقُ

وإِن شـــوَّشَ الـصـدغَ الـنسـيـمُ فخلَّـها

عَـسَـى أَنَّـــهـــا فـي ذلـك المـــاءِ تَـغْـرَقُ

وإِلاَّ عـلـى الخَـصْـرِ الـدَّقـيـق فـقـال لـي:

إِلَـيْـكَ فـإِنَّ الخَـصْـرَ مِـنْ ذَاكَ أَضْـيَـقُ

****

(29)

وقال وهو بالشام معارضًا[1]:

[البسيط]

يـا مُـنـيـةَ الـقَـلْـبِ لـولا أَن يـقـالَ سَـلاَ
لـقـلـتُ مـا كـنـتُ أَعْـصِـي الـعَـذْلَ لـولاكِ
رَمَـيْـتِ مـن مـصـرَ قـلْـبًـا بـالـشـآم فـمـا
أَسْـــرَاكِ سَـهْـمًـا إِلـى أَحـشـاءِ أَسْـــرَاكِ
أَسـرفْـتِ فـي الـصّـدّ إِذ أَسـرفْـتُ فـيكِ هـوًى
فـالـعَـذْلُ والـعَـدْلُ يَـنْـهَـانِـي ويَـنْـهَـاكِ
نـأَيْـتِ يَـقْـظَـى وقـد أَلْـقـاكِ هَـاجِـعَـةً
وفـي الحـقـيـقـةِ أَنِّـي لـسْـتُ أَلْـقَـاكِ
كـم صـادَ طـيْـفُـكِ طـرفـي بـعـد هَـجْـعَـتِـهِ
فـالجَـفْـنُ فَـخّـيَ والأَهْـدَابُ أَشْـرَاكِـي
رُدِّي ودائـعَ لـثـمـي جـئـتُ أَطْـلُـبُـهَـا
مـا كـان أَوفَـاكِ إِذ أَودعـتُـهـا فَـاكِ
زمـانَ لَـمْ أَدْرِ مـن لـهـوي ومـن طَـرَبِـي
أَمِـنْ مُـحـيّـاكِ سُـكْـرِي أَمْ حُـمَـيَّـاكِ

(1) الشريف الرضي في قصيدته التي قالها في شهر المحرم سنة 395 هـ والتي مطلعها:
يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أنَّ القلب مرعاكِ
ديوان ابن سناء الملك، ص 426.

وإذ جَمَالُكِ قدْ أَغْرَى جَمِيلَكِ بِي
وَبي التعطف قد أَغراكِ عِطْفَاكِ
وإذ مغانِيكِ بالأَنوار زاهرةٌ
حتَّى لقد خِلْتُ في مَغْنَاكِ مغْنَاكِ
رحلتُ عنكم وقد أَولعتُ بَعْدَكُمُ
فَمًا بذكراكِ أَو قَلْبًا بِذكْرَاكِ
وما أَظُنُّ ديارَ القلبِ مَسْكَنَكُمْ
بأَنَّني فِيه قَدْ أَكْرَمْتُ مَثْوَاكِ
فما مررت بِرَبْعٍ كان رَبْعَكُمُ
إلاَّ ظننتُ صَدَاهُ أَنَّه الشاكِي
يَحْكِينيَ الرّبعُ أَو أَحْكِيهِ بَعْدَكُمُ
سُقْمًا فيا ليتَ شِعْرِي أَيُّنا الحاكي
ويومَ بارزتُ بَيْني شاكيًا فرَقي
منه وذلِكَ يَوْمٌ بالنَّوَى شَاكِي
بَكتْ وَفِيها معاني الحُسْن ضاحكةٌ
يا حَرَّ قلبَاهُ مِنْ ذَا الضاحِكِ البَاكِي
هي الحبيبةُ دونَ النَّاسِ كُلِّهِمُ
فَلْيُهْنِني ذاكَ أَو فَلْيَهْنِهَا ذَاكِ

✱✱✱✱

(30)

وقال يتغزل في شاب هرب من الوالي[1]:

[السريع]

يـا مُـعْـرِضًـا قـد آنَ أَنْ تُـقبلا
وغـائِـبًـا قـد حـان أَن تَـقْـفُـلا
أَعـرضـتَ إِذ أَعـرضْـتَ لا عـن رضًـى
وغـبـتَ لمَّـا غـبـتَ لا عَـنِ قِـلَـى
لـيـس بـعـارٍ أَن تُـرى هـاربًـا
فـإِنـهـا عَـادَةُ رِيمِ الـفَـلاَ
ولا بـعـيـبٍ أَن تُـرى غـائـبًـا
فـعـادةُ الأَقـمـار أَنْ تـأْفُـلا
وأَن تُـرى مـن فَـرَقٍ شـاحـبًـا
فـالـسـيـفُ قـد يـصـدأُ بَـعْـدَ الجِـلاَ
كـأَنَّمـا الـوالـي وأَعـوانُـه
غـاروا عـلـى حُـسْـنِـكَ أَن يُـبْـذلاَ
قـد جـلَّ ذاك الـغـصـنُ أَن يُـجْـتَـنَـى
مـنـك وذاكَ الـبَـدْرُ أَن يُـجْـتَـلـى
كـم بـحـثُـوا عـنـه ولـم يَـعـلَـمـوا
بـأَنَّ فـي قـلـبـي لـه مـنـزلا

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 435.

كَـتـمـتُـه عـنـهـم فَـقُـولـوا لَـهُ
مـا بـالُـه دلَّ عـلـيَّ المـلا
إِن أَنـكـرُوا سُـقْـمـيَ مِـن بَـعـده
فـصـفـرةُ الـلـونِ دلـيـلٌ عـلى
يـا لـيـتـه أَذْنَـب حـتـى أَرَى
عُـذْرًا لـقـلـبي بـعـد مـا أَنْ سَـلا
أَولـيـتُـه كـان رخـيـصًـا عـلـى الْـ
ـقـلـبِ فَـتَـنْـسَـاهُ إِذا مـا غَـلا
وُدِّي وَعَـيْـشِـي بـعـد تـودِيـعـه
ذلـك مـا حـالَ وذا مـا حَـلاَ
لـم يـكـتـحـلْ طـرفِـي بـغـمـضٍ وقـد
فـارَقَ ذَاكَ الـرَّشَـأَ الأَكـحـلا
فـقـل لـنـدمـانـي إِنِّـي امْـرؤٌ
بـعـد الـطَّـلا حُـرِمْـتُ شُـرْبَ الْـطِّـلاَ
ولـي فَـمٌ صَـادَفَ مِـنْ بَـعْـدِهِ
سـلاسـلَ الـدمْـعِ بـه سَـلْـسَـلا
عـيْنٌ أَصـابَـتْـنـي ولـكـنَّـهـا
يـا قـاتـلـي لـم تُـخْـطِـئِ المَـقْـتـلا
مـا أَحـسـنَ الـصـبـرَ وأَمّـا عـلـى
أَن لا أَرى وجـهَـكَ يـومًـا فـلا

✱✱✱✱

(31)

وقال أيضًا[1]:

[الكامل]

رحلوا فلستُ مُسائِلاً عن دَارِهِمْ
أَنا باخِعٌ نَفْسِي على آثارِهم
أَسفًا لأَنْ بَانَ الذين قُدُودُهم
من بَانِهم وخُدُودُهم مِنْ نَارِهِمْ
ودموعُ عيني بل عيونُ مدَامِعي
لجوارِ حُسْنِهِمُ وحُسنِ جِوارِهِمْ
عهدي بهم والدُّرُّ من حَصْبَائِهم
في الدَّار، والياقوتُ من أَحجارهم
والمسكُ والكافورُ تُرْبَةُ أَرضِهم
فيها وماءُ الورد من أَنْهارِهم
لا ينظر البَدْرُ المنيرُ إِليهمُ
حَذَرًا على عَيْنيه من أَنْوَارِهِم
ولقد رأَيتُ الشَّمسَ منها كُوّرت
من بعد أَنْ ركبوا على أَكْوارِهِم

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 449.

شَـرِهَـتْ نَـوَاهُـم فـاغْـتَـدَتْ بِرجالـهم

ونِـسـائـهـم وصـغـارِهـم وكـبـارِهـم

وخـيـولِـهـم وجـمـالِـهـم وقِـطـاطِـهـم

وكِـلابـهـم وعـبـيـدِهـم وجِـوارهـم

حُـمَّ الـنَّـسـيـمُ لـبُـعْـدِهـمْ فـكـأَنَّـمـا

خَـلَـعـوا هـواجَـرهـم عـلـى أَسْـحَـارِهـم

ولـبُـعْـدهـم طـالـت ذوائـبُ لـيـلِـهـم

فـيـهـا يُـغَـطَّـى نـورُ وجـه نـهـارهـم

والـعـاشِـقُ المـسـكـيُن فـي أَطْـلالِـهـم

مِـثْـلُ المـنَـاطِـق جُـلـنَ فـي أَخْـصَـارِهـم

يـأتـي ويـذهـبُ آيـسًـا أَو راجِـيًـا

لَـزارِ قُـرْبـهـمُ وقُـرْبِ مَـزارِهـم

وتجـول لـوعـتُـه عِـرَاصَ بـيُـوتـهـم

وتجـوسُ دمـعـتُـه خِـلالَ دِيـارِهـم

يـبـكـي فـلا تَـسْـأَلْـه عـن أَخـبـاره

وَلَـهًـا إذا سـأَلُـوه عَـنْ أَخْـبَـارِهِـم

ومـلـيـحـةٍ فـي الـظَّـاعـنـين مَـلـيّـةٍ

لـلـعـاشِـقِـين بـبِـرّهِـمْ وبَـوَارِهـمْ

فـوصـالُـهـا لـنـعـيـمِـهـم وصـدودُهـا

لـشـقـائِـهـم ورحـيـلُـهـا لـدمَـارهـم

وإذا هـيَ اسْـتـتـرتْ صـــدودًا عَـنْـهـمُ

فـانـظـرْ لـمـا هَـتَـكَـتْـهُ مـن أَسْـتَـارِهـم

لا يـنـقـضـي يـــوْمٌ لـهـا لَّـــا نَـــأَتْ

إلاَّ وقَـــد أَخـــذَتْـــه مـــن أَعـمَـارِهـم

وغـــدت تحـــدِّث عـنـهـمُ أشـعـارُهـم

فـيـهـا بمـا كَـتَـمُـوه مـن أَسْـــرَارِهـــم

أَنـــا شـيـخُـهـم فـي عِـشْـقِـهـا وعَـلـيَّ قد

قَـــرَؤوا الـــذَّي نَـظَـمُـوهُ مـن أَشْـعـارِهـم

أَمـنـوا انـبـسـاطَ الـعَـذْل مـن عـذَّالِـهـم

ثِـقَـةً بمـا بَـسَـطُـوه مـن أَعْـــذَارِهِـــمْ

لـم يُـقْـبـلِ الـعـــذَّال لمّـــا أَقْـبـلُـوا

لـكِـنَّـهـم ولَّـــــوْا عـلـى أَدْبَـــارِهـــم

****

(32)

ومن شعره أيضًا[1]:

[الكامل]

مَــنْ ذَا الَّــذِي مِــنْ مُـقْـلَـتَـيْـه يَـقِـيـنـي
هَــذَا الــذي أَخْـلَـصْـتُ فـيـه يَـقِـيـنـي
ريمٌ لــه خَـجِـل الــرُّمَــاةُ وإِنَّمــا
يَــرْمِــي بـقـوسَـيْ حـاجـبٍ وجُـفـون
ظـبـيٌ ضـعـيـفُ الـلَّـحـظ إِلاَّ أَنَّــه
فـي الـفـتْـكِ بـالـعـشَّـاقِ لـيـثُ عَـرِيـن
يمشي فـيـدْعُـوه الـقـضـيـبُ سَـرَقْـتَـنـي
وإِذا رَنــا قــال الــغــزالُ عُـيـونـي
أَلِــفُ ابــنِ مُـقـلـةَ فـي الـكـتـابِ كَـقَـدِّه
والــصُّــدْغُ مِـثْـلُ الــواوِ فـي الـتَّـحْـسِـين
وشــعْــرُه لــثــغــرِه ســينٌ بـدت
حــارَ ابــنُ مـقـلـة عـنْـدَ تِـلْـك الـسـين
أَنــا لا أَريــد تـنـزُّهًـا فـي رَوْضــةٍ
نــظــري إِلــى وَجَــنــاتِــه يـكـفـيـنـي

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 465.

يـا لـلـرِّجـالِ ويَـا لَـهـا مـن فِـتْـنـةٍ
فـي وضـع ذاك الـنَّـقْـط وَسْـط الـنُّـونِ
والـعـيـنُ مـثـلُ الـعـين لـكـن هـذه
كُـحِـلـتْ بِـحُـسْـن وَقـاحَـةٍ ومُـجـون
لاقـيـتُـه يـومًـا فـقـال أَمـا تـرى
مـا قـد جـرى مـنـهـم لَـقـدْ ظـلـمُـونـي
طَـمِـع الـغـزالُ بـأَن يـعـارِضَ مُـقْـلـتـي
والـبـدْرُ أَيـضًـا طَـامِـعًـا يَـحْـكِـيـنـي
سـبـحـان مـن خـلـع الـعُـيُـونَ وقـال كُـنْ
فـتـكَـوَّنَـتْ فـي أَحْـسَـنِ الـتَّـكـويـنِ

✱✱✱✱

(33)

وقال يتغزل بعمياء[1]:

[المتقارب]

بـــأَيِّ الـظُّـبـى ضُـــرِبَـــتْ مُـقْـلَـتَـاهُ
ومـــن أَيْـــن خَـــافُـــوا أَذًى مِـــنْ هَـــوَاهُ
غـــــرامٌ نـــهـــاهُ الـنُّـــهـى أَن يُـلِـمَّ
ولـكـن عـصـــاهُ وأَلْـــقـــى عَـصَـــاهُ
فـــأَهـــلاً وســـهـــلاً بـــه مـــن هَـــوًى
فـــــؤادِي بـــه قـد حَـــوَى مـا حَـــوَاهُ
وقـلـبـي كـمـا سـرَّنـي فـي يَـدَيْـهِ
وأَمّـــــا سُـــلُـــوِّي فَـتـبَّـتْ يـــداهُ
هَـــوِيْـــتُ فـاَتـيـتُ نـفـسـي هُـدَاهـا
وهِـــمْـــت فـبـلَّـغْـتُ قَـلـبـي مُـنـاهُ
فـشـابَـهْـتُ جِـسْـمِـي بِـخَـصْـر الحبيبِ
لـقـد ســرّ قَـلْـبـيَ ذا الاشْـتـبَـاه
تـعـلَّـقـتُـه أَكْـحَـــلَ الـنَّـاظِـرَيْـنِ
فـهـل ذابَ فـــي نَـــاظِـــريْـــه لَـــاهُ
وقـــالـــوا هَـــــوَاك مـقـيـمٌ مـقـيـمٌ
عـلـيـه فـقُـلـتُ كـمـا هُـــوْ كـمـا هُـوْ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 467.

أَرى أَلـــف أَلـــفِ مـلـيـحٍ فـمـا
كـــأَنـــي رَأَيْـــتُ مَـلِـيـحًـا سِـــوَاهُ
أَراهُ ومـــالـــي سَـــبِـــيـــلٌ إِلـيـه
فـــراحَـــةُ قَـــلْـــبـــيَ ألاَّ أَرَاهُ
إِذا مـا الـنُّـهـى أَبْـعَـد الـصـبَّ عَـنْـهُ
فـــلا أَبْـــعَـــدَ الـــلـــهُ إِلاَّ نُـــهـــاهُ

****

باب الرثاء

(34)

وقال يرثي العفيف بن التلمساني[1]:

[المتقارب]

لـقـد عِـفْـتُ عـيـشـيَ بـعْـدَ الـعَـفِـيـفِ
عـلـى الـعَـيـشِ بَـعْـدَ الـعـفـيـفِ الـعَـفـاءُ
فـمـا غـــاب مـــا غـــاب إلاَّ الجـمـيـلُ
ومـــا مـــات مـــا مـــاتَ إلاَّ الـــوفـــاءُ
وإلا الـصـديـقُ وإلاَّ الـصَّـدُوقُ
وإلاَّ الـصـفـيُّ وإلاَّ الـصَّـفـاءُ
حـبِـيـبٌ قـريـبٌ بـه يُـلْـتَـهـى
وتُـنـسَـى الأَحـبّـاءُ والأَقـربـاءُ
يـقـرَّب إن بَـعُـد الأَقـربـونَ
ويُـشْـكَـرُ إنْ ذُمَّـتِ الأَصـدقـاءُ
تـلاومـتُ إنْ عـشـتُ مـن بـعـدِه
فـأيـن الإبـاء وأيـن الحـيـاء
وإنَّ بَـقَـائِـيَ مـن بـعـدِه
قـبـيـحٌ وإنَّ حـيـاتِـي جـفـاءُ
وكـيـف ولِـمْ لا فَـدَتْـهُ الحـيـاةُ
وقَـلَّ لـه مـن حـيـاتـي الـفِـدَاءُ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 489.

ولِـــمْ لا نَـقَـلْـتَ إِلـــيّ الـسَّـقـامَ
ويُـنْـقَـلُ عـنِّـي إِلـيـكَ الـشَّـفـاءُ
وكـيـف ولِـــمْ لا رددتُ الـقـضـاءَ
وهـيـهـاتَ لـيـس يُـــردُّ الـقـضـاءُ
فـلا تَحْـسَـبُـوا أَنَّـنـي قـد بَـقِـيـتُ
بَـقِـيـتُ ولـكـن بـقـائـي فَـنَـاءُ
وأَمَّـــا مُـقَـامـيَ فـهُـوَ الـرّحـيـلُ
وأَمَّـــا نـعـيـمـيَ فـهـو الـشَّـقـاءُ
بـرغـمـي دفَـــنْـــتُ عـــزيـــزًا عـلـيّ
فـصـارَ عـزيـزًا عـلـيَّ الـعَـزَاءُ
مـــررتُ عـلـى رَبـعـه خَـالـيًـا
ومـا رَبْـعُـه فـي فُـــوَادي خَـلاءُ
دفـنـت ســـــــرُورِيَ فـي قَـبْـره
فـمـا لِـيَ فـي ذا ولا ذَا رجـاءُ
تـقـول أَمـانـيَّ هـل نَـلـتَـقـي
فَـقُـلـتُ نَـعـم فـي المـعَـادِ الـلِّـقَـاءُ
ولـسـتُ أُطـيـقُ أَرىَ قـبـرَه
وإِنْ كَـان فـيـه الـسَّـنـا والـسَّـنـاءُ
فـقـد مَـنـع الـطَّـرفَ مـنِّـي ومـنْـ
ـهُ إِمّـا الـدُّمُـوعُ وإِمّـا الـضِّـيـاءُ
فـــأُفٍّ لـديـنـا تـســاوى الَّـذيـنَ
بـسـاحَـتِـهـا أَحْـسَـنُـوا أَمْ أَسَـــاءُوا

يَـــعُـــمّ أَذَاهَـــــــا فـــلا الأَغـــنـــيـــاءُ
نَجَـــوْا مـــن أَذَاهـــــا ولا الأَنْـــبِـــيـــاءُ
ونـــالَـــتْ كـمـا تـشـتـهـي مَـــا تـشـاءُ
ومـــا نـــالَ خَـــلْـــقٌ بـهـا مـــا يَـشـاءُ
يـشـيـب بـهـا المـــرءُ قَـبْـلَ الـشـبـابِ
ويُـــهـــدَمُ مـــن قـبـلِ يُـبْـنـى الـبـنـاءُ
خَـلِـيـلِـي وحـــاشـــاك أَن لا تُجـيـبَ
نـدائِـــي فَـــقَـــدْ طـــال مـنِّـــي الـنِّـــداءُ
لـئـن كـنـتَ أُسْـكِـنْـتَ دَارَ الـبـلـى
فـقـد دَارَ بـالـقـلـب مـنِّـــي الـــبَـــلاَءُ
وإِن جـــفَّ فـيـكَ دمٌ واحـــدٌ
فـقـد سَـــالَ مـن مُـقْـلَـتَـيَّ دِمَـــاءُ
ســأُثْـنِـي عَـلَـيْـكَ ومـــا قـــلَّ مـا
يَـقُـومُ بمـا يَـسْـتَـحِـقُّ الـثَّـنـاءُ
ثـنـــاءٌ يُـــنَـــدُّ بـــه الـــنَّـــدُّ عـنـه
حـيـاءً ويَـكْـبُـو لـدَيْـه الـكِـبَـاءُ
ثـنـائـيَ قـد غَـبَـطـتْـهُ الـرِّيـاضُ
وقَـــبْـــرُكُ قـد حَـسَـدتْـهُ الـسَّـمـاءُ
تـصـــرَّمَ مـــا بـيـنـنـا وانْـقَـضـى
وزال الـــتَّـــزاورُ والإِلـــتـــقـــاءُ
فـمـالـيَ مـنـك ســوى الاكـتـئـابِ
ومـــالـــك مِـــنِّـــيَ إِلاَّ الـــدُّعَـــاءُ

ويبكي عليكَ فَمِي بالقَريضِ
إذا قلَّ مِنْ مقلتيَّ البُكَاءُ
فَجوزِيتَ عنِّي خَيْر الجزاءِ
وأَعطاكَ مَنْ بيَديْهِ العطاءُ
ولا زِلْتَ بالقَبْرِ في جنَّةٍ
لك الرِّيُّ من ظَمْئِها والرُّواءُ

✱✱✱✱

(35)

وقال يرثي أُمّه[1]:

[الخفيف]

صــحَّ مــن دهــرِنــا وفــاةُ الحَــيــاءِ
فــلــيَــطُــلْ مــنــكــمــا بُــكَــاءُ الــوَفــاءِ
ولْــيَــبــنْ مــا عــقَّــدتُمــاه مــن الــصَّــبْــ
ــرِ بــأَن تَحْــلُــلا وكَــاءَ الــبُــكَــاءِ
وأَهِــيَــنــا الــدُّمُــوعَ سَــكْــبًــا وهَــطْــلاً
وهَــبــا أَنَّــهــن مِــثْــلُ الــهَــبــاءِ
وامْــنــحــا الــنَّــوْمَ كــلَّ صــبٍّ يــنــادي
مــن يُــعــيــرُ الــكَــرَى ولَــوْ بــالــكِــرَاءِ
لــيــستِ الــعــيُ مــنــكــمــا لــي بِــعَــيْنٍ
أَو تُــعــانــي حَــمْــلاً لــبَــعْــضِ عــنَــائــي
قــد رمــانــي الــزَّمــانُ مــنــه بــخــطــبٍ
أُفْــحِــمَــتْ عــنــه أَلْــسُــنُ الخُــطَــبــاءِ
ودهــانــي بمــا أُعــزَّى فــفــيــه
عــن ثــبــاتِــي لــه وحُــسْــنِ عَــزائــي
صــار مــنــه يــرى الــغِــنَــاءَ نُــواحًــا
مــسْــمَــعِــي والــنُّــواحَ مِــثْــلَ الــغِــنَــاءِ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 491.

وأَرَانِـــــي حَـالِـي الأَنِـيـقَـةَ قـد قـلْ
لَ بـعـيـنـيَّ مـا بـهـا مـن بـهـاءِ
وقـضـى لـي بـطـولِ عُـمْـري نَـحيبي
مـذ قَـضـى نَـحْـبَـه لـديَّ رجـائـي
وأَنـاخـت ركـائـبُ الـهـمِّ فـي قَـلْـ
ـبـي ولـم تَحْـتَـشِـمْ لـطـول الـثَّـواءِ
ثـم آلـت أَلاَّ تُـفـارِقَ رَبْـعِـي
وفِـنـائـي إِلا عـقِـيـبَ فَـنـائِـي
صـادَفَـتْ مـنـهـلاً يَـصُـبُّ مـن الـعَـيْـ
ـنِ ونـارًا تُـشـبُّ فـي الأَحْـشَـاءِ
وأَلُـوفًـا لـو فـارقـتْـه لأَرْوَى
جـفْـنُـه الأَرضَ مـن سـمـاءِ الـدِّمـاءِ
وإِذا كـان يشتكي فُـرْقَـةَ الـبَـلْـ
ـوى فـمـاذا يـقـولُ فـي الـنَّـعْـمَـاءِ
أَيُّ عـذرٍ لـدهـرنـا إِذْ دَهَـانـي
بِمُـصَـابٍ أَلَـمَّ فِـيـهِ دَهَـائِـي
وأَرانِـــي الـبـلاءَ قـد حـلَّ منه
بـالَّـتـي لـم تَـزَلْ تُـزِيـلُ بـلائـي
والـتـي بـعـضُ جُـودِهـا لِـي وُجُـودِي
والـتـي مـن حِـبـائِـهـا حَـوْبَـائِـي
قَـدْ تَـيـقَّـنْـتُ مُـذْ غَـدَتْ لِـيَ أَصـلاً
أَنَّـنـي مُـثْـمِـرٌ فُـنُـونَ الـعـلاءِ

يـعـذُر الـنـاس مـن تـكـونُ لـه أُمْـ
ـمًـا إذا مـا ازْدَهَـى عـلـى الآبـاءِ
ويَـرَوْنَ الـصـوابَ أَن تـنـسـب الأَو
لادُ لا لـلـرجـال بـلْ لـلـنِّـسـاءِ
هـي مـن قـدّمـت لـهَـا حـسـنـاتٍ
تـقـتـضـي غَـرْسَـهـا رجـاءَ الجِـبـاءِ
أَتـعـبـتْ كـاتِـبَ الـيـمـينِ فـكـم أَغْـ
ـفَـل إِثْـبَـاتَـهـا مـن الإِغْـيَـاءِ
تُـنْـفِـقُ الـعُـمْـر فـي اكـتـسـابِ ثـوابٍ
لمـآبٍ لا لاقْـتِـنَـاءِ ثـنـاءِ
وتـرى مُـشْـتَـري الـعـلاءِ رخـيـصًـا
ولَـوَ انَّ الـعُـلا بـأَغـلـى الـغـلاءِ
ولـقـد خـلَّـفـت أَحـاديـثَ تُـغْـنـي الـ
أَنْـفَ عـن نَـشْـرِ رَوضـةٍ غـنَّـاءِ
خَـفَـرٌ مـعْ ديـانـةٍ وذكـاءٌ
فـي زكـاةٍ وعـفَّـةٌ مَـعْ سـخـاءِ
كـم تمـنَّـت قُـرْبَ المـنـيّـةِ دَهْـرًا
رغـبـةً فـي الخـبـاءِ والإِخـتـبـاءِ
وأَرادت حـجـبَ الـثَّـرى لـيـتَ شِـعْـرِي
مَـنْ دَعَـا لـلـثَّـرى بـهـذَا الـثَّـرَاءِ

****

(36)

وقال يرثي جارية له[1]:

[الطويل]

لـئِـن كـنـتِ مـن عـيـنـي نُـقِـلْـتِ إِلــى قلْبي
فقد صـارَ أَقْـصَـى البُعْدِ فـي أَقْـرَب القُرْبِ
وإِن كــان هــذا الــصــدُّ مـنـكِ تَـعـتُّبًـا
عـلـيَّ فـعِـنْـدِي أَلــفُ عَـتْـبٍ مـن الـعـتْبِ
وإِن كـنـتِ فـي شُـغْـلٍ فـهـلْ هُــوَ شَـاغِـلٌ
كـشُـغْـلـكِ قِـدْمًـا بــالــدَّلاَلِ وبـالـعُـجْـبِ
وإِنْ كـنـتِ غـضْـبـى مـن فِـرَاقِــي فـإِنَّـهُ
- ولا تَـظْـلـمِـي - ذنــبُ المَـنِـيَّـة لا ذنْـبـي
دَعِــي ذا وقُــولِـي كـيْـف خُـلِّـيـتِ لـلـرَّدى
وأُخْـرِجْـتِ مـنْ خـلـفِ المقاصيرِ والحُـجْـبِ
وكـيـف اعـتـدَى ذاك الحَـمـامُ عـلـى الحِـمـى
وكـيـف سَـبَـاكِ المـوتُ جَـهْـرًا بِــلاَ حَـرْبِ
وكـيـف أَراقُــوا مــاءَ وجـهِـك فـي الـثَّـرَى
فـأَفْـنـاهُ دُونِــي شـرْبُـه مِـنْـهُ لا شُـرْبـي

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 495.

وكيف ابتَلَوْا تلك المَعَاطفَ بالبِلَى

كمَا امْتهنُوا تلك الترائبَ بالتُّرْبِ

بِرغْمِيَ قَدْ أُنْزِلْتِ أَضْيَق مَنْزِلٍ

فَلا مَرحبًا بالمنزِلِ الواسعِ الرَّحْب

ومَا وجْهُكِ الوَجْهُ الذي غابَ في الثَّرَى

ولكنَّهُ البَدْرُ الَّذِي غابَ في الغَرْبِ

فلا تَسْأَلِي عنْ حالِ دَارِكِ وانظُرِي

إِلَى الشِّعبِ أَخلت ربْعَه ظبيةُ الشِّعْبِ

بكتْ دُورُكِ اللاَّتِي عليكِ تَسَلَّيَتْ

مِن الحُزْنِ لَمَّا عُوجِلتْ منكِ بالسَّلْبِ

وربْعُكِ أَضْحَى خاشِعًا مُتصَدِّعًا

وسَاخ إِلى أَنْ صَارَ أَعْلاَهَ كالجُبِّ

ويَنْدُبُ حَتى يسمَع الخلقُ نَدْبَهُ

مُصَلاَّكِ بالتسبيحِ لا العُودُ بالضَّرْبِ

وحَاشاكِ من لَغْوٍ وحَاشاكِ من رَدٍّ

وحَاشاكِ من لَهْوٍ وحاشاكِ منْ لعْبِ

وما بَرحَتْ في الحُسْنِ قِنْدِيلَ قِبْلةٍ

وفي الطُّهْرِ لا رَيْحَانة الشَّرْبِ والشُّرْبِ

إِذا ظَهرَتْ كان الحِجَابُ من الحِجَى

وإِن سفرت نابَ الحَيَاءُ عن النَّقْبِ

ومِــنْ طبعِـها ذاك الـعـفـافُ وكسْبُـها

ومـا أَحسَـن الطبعَ الـذِي زِيـدَ بالكسْبِ

وقـد طُـوِيَـتْ مـن قـبلِ أَنْ يَـنْطوِي الصِّبا

وقـدْ بَـلِـيَـتْ مـن قـبلِ أَثْـوَابِـهـا الـقُـشْـبِ

وأَمّـــا حَـديـثـي أَنَّـنـي الـثَّـاكـلُ الَّـذي

أَقـــامَ زَمَـانًـا فـيـكِ يُـعْـرَفُ بـالـصَّـبِّ

ودَافـعْـتُ عـنـكِ المـوت بـالـطِّـبِّ جَـاهِـدًا

وذا غَـلـطٌ هـل يُـدفـع المـــوتُ بـالـطِّـبِّ

وحُـمَّـاكِ غَـاثـت فـي حِـمَـاكِ وأَدخـلـتْ

عَـلـيـكِ الـضَّـنـى حَـتـى أَبَـاحَـتْـه للنَّهب

وزارَتْـــكِ غِـبًّـا كـيْ يُـحـبَّ مَـزارُهـا

ويـا جَـهْـلـهـا بـالمـوتِ فـي ذلـكَ الـغِـبِّ

ومـا أَنـا مِمَّـــنْ شَـــقَّ ثـوْبًـا وإِنَّـــه

لَـفِـعْـلُ خَـلِـيٍّ عَـن تَـفَـعُّـلِـه يُـنْـبـي

نَـعَـم كـبِـدِي والـقـلـبُ مـنِّـيَ شُـقِّـقَـا

عـلـيـكِ أَسـىً هَـذا شَـغـافِـي وذا خِـلْـبـي

****

(37)

وقال يرثي السيد الشريف أبا القاسم عبدالرحمن الحسيني الحلبي الذي توفي في اثنتين وثمانين وخمسمائة هجرية[1]:

[البسيط]

يـا حَـيْـرةَ الحـقّ لمـا غُـيِّـبَ الـهـادِي
ووحـشـةَ الـديـنِ لمـا أَظـلـم الـنَّـادي
يـا آل عَـبْـدِ مـنـافٍ أَيُّ داهـيـةٍ
خـلا بـهـا الحـيُّ بـل أَوْدى بـهـا الـوَادِي
ويـا قُـريـشَ الـنَّـدى مـن جَـبَّ غـاربَـكـم
ومـن رمـى نـارَ عـدنـانٍ بـإِخْـمَـاد
ويـا بـنـي مـلَّـةِ الإِسـلام أُمُّـكـمُ
ثـكـلـى بـأَطْـهـر مَـيْـتٍ فـوْق أَعْـوَادِ
فـيـا شـمـاتـةَ تـعـطـيـلٍ وفـلْـسَـفـةٍ
ويـا مـسـرَّةَ إِشـراكٍ وإِلحـاد
يـا سـاكـتًـا تحـت أحـجـارٍ مـنـضّـدةٍ
بـل سـاكـنًـا بـين أحـشـاءٍ وأكـبـاد
يـا سـاكِـنًـا وَسْـط قـبْـرٍ ظـلَّ مَـوْضِـعُـه
مـا بـين قـصْـرِ أَبـي ذرٍّ ومِـقْـدادِ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 504.

يـا واحـــدًا كـــان كـــالآلافِ نـحْـسَـبُـه
لا واحـــدًا كـــان مَـحـسُـوبًـا بـاَحَـادِ
يـأَيـهـا الـطَّـاهـرُ الـسَّـاري تـطـهُّـرُه
فـي الـنـفس والجِـسْـم والأَثـــوابِ والـــزّادِ
لـم يَـبْـقَ بـعـدك مـن يُـرْجَـى لتبصرةٍ
لـم يَـبـق بَـعـدك مـن يُـدْعَـى لإِرْشـــادِ
لـم يَـبْـقَ بَـعْـدَكَ مَـنْ يَـحْـمـي صَـرِيمـتَـهُ
كـيـدَ الـعَـدُوِّ ويـكـفـي صَـوْلَـة الـعـادي
لـم يَـبْـقَ بَـعْـدَكَ بَـحْـرٌ فـائِـضٌ أَبـدًا
عـلـى تـــزاحُـــم شُـــــرَّابٍ ووُرَّاد
لـم يـبـقَ بـعـدك مـن تُـــرْوى مَـآثِـرُه
حـتـى بـأَلْـسُـنِ أَعـــداءٍ وأَضْـــدادِ
لـم يـبـقَ بـعـدك مَـنْ أَخـبـارُ سُـــؤْدُدِه
يـلـهـوُ بـهـا الـشَّـرْب أَو يـشـدُو بـهـا الـشَّـادِي
لـم يَـبْـقَ بَـعْـدَكَ مَـنْ إِنْ قَـامَ فـي جَـدَلٍ
أَمـــدَّه الـلـه مـن نـصْـرٍ بـــأَمْـدادِ
لـم يَـبْـقَ بَـعْـدَكَ مَـن بـالـفـضْـل أَجْـمَـعُـه
يَـبْـدُو وَيـخْـتِـمُ فـهُـو الخـاتم الـبَـادِي
فـإِن طـلـبْـتُ بـديـلاً مـنـك أَو عـوضًـا
فـي الـعـالـمين لـقـد أَتـعـبـتُ رُوَّادِي
تـبـكـي الـسـمـاءُ لـشـمْـسٍ مـنْـك مُـشْـرقـةٍ
تَـحْـتَ الـتُّـراب ونَـجْـمٍ مـنـك وَقَّـاد

ويَـلْـطـم الـدِّيــنُ خـدَّيْـه ومـفْـرقَـه
مـن بـعـدِ تَـخْـريـق أَثْـــواب وأَبْـــراد
وقـد بـكـت سُـــوَرُ الـقـرآنِ فـاسـتَـمِـعُـوا
شَـهِـيـقَ نُـونٍ بسـمـع الـقَـلْـب أَو صَـادِ
وأَعْـــوَلَـــتْ حَـلَـبٌ إِعـــوالَ ثَـاكِـلـةٍ
حـتـى لَـقَـدْ سُـمِـعَـتْ مِـنْ أَرضِ بَـغْـدَادِ
تـقـولُ وَاحـــرَّ أَحْـشَـائِـي عَـلَـى وَلَـدٍ
قـد كـان أَنْجَـــبَ أَبْـنـائِـي وأَوْلادِي
ومـصـرُ أَثـكـلُ مـنـهـا غـيْـرَ أَنَّ لـهـا
بـالـقـبْـر تـنْـفِـيـسَ أَحْـــزانٍ وأَكْـمَـادِ
والـعِـلْـمُ يَـصْـرخُ واويْـــلاه مِـن قـدرٍ
أَمـــاتَ أَنْجـــدَ أَعـوانـي وأَنْجَـــادِي
والـشَّـــرْعُ لَمَّـا الـتـقـى بـالـدَّهْـرِ وبَّـخـهُ
وَقـــال وَيْـلـكَ قـدْ أَشْـمَـتَّ حُـسَّـادِي
والـصـومُ قـدْ قـال لـهْـفـي مـن لِـهـاجِـرَتـي
والـلَّـيـلُ قـدْ قـال وَيْـلـي مَـنْ لأَورَادِي

****

باب الاعتذار

(38)

قال وقد فارق خدمة القاضي الفاضل بدمشق وتوجه إلى مصر وكتب إليه يعتذر من مفارقته إيَّاه[1]:

[الطويل]

تـــذكَّـــرتُ أَيـــامَ الـصَّـبـابَـة والـصِّـبـا
وعـيـشًـا مـلـيـحًـا بـالمَـلـيـحـةِ مُـعْـجِـبَـا
وثـــوبَ نـعـيـمٍ لا يـــحِـــلُّ لـبـاسُـه
لـــذي وَرَعٍ لأَنـــه كـــان مُـذهَـبَـا
مُـــذهـــبَّـــةُ الخـــدَّيْـــن يـحـمـرُّ خـدُّهـا
لـيُـجـنـى ويـجـري المـــاء فـيـه لِـيُـشْـرَبـا

---

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 538.

كان ابن سناء الملك قد زار القاضي الفاضل بدمشق سنة 583هـ فوجده مريضًا فخشي أن يجري عليه القضاء المحتوم، وهو لا يحتمل ذلك عليه فطلب منه أن يأذن له بالعودة إلى مصر محتجا بأنه قد ورده عن أبيه خبر مزعج فأذن له الفاضل عن نفس غير راضية. فلما ذهب إلى مصر ومنَّ الله على القاضي الفاضل بالشفاء، كتب إليه هذه القصيدة معتذرًا عن فراقه. ومعها كتاب يعتذر فيه أيضًا، وقد كتب القاضي الفاضل، إلى أبيه القاضي الأشرف ردًا على تلك القصيدة كتابًا جاء فيه «وتأملت قصيدته التي اعتذر فيها عن فراقي، وهربه مني، وتركه إياي.. أشواقي آخذة بأطواقي، وكنت كلما قرأت فصلاً أو بيتًا تحللت عقدي، فعلمت أن أقواله هي النفاثات في العقد، وأن من وجد ما وجد ما فقد منه ما فقد، وما هرب إلا خوفًا من أن يقضي علي بالمحتوم وهو حاضر بحضرته، فينفر ويتجرع حسرتي دون أسرتي، وهذا عذر استحيا أن يقوله فقلته عنه.. إلى أن قال... وددت لو كان البحتري حيًّا فنلسعه من تلك القصيدة بحية، وكانت بائيته تغض من بأوها وعجبها، وتستر من الأوراق في حجبها.. إلخ». وقصيدة البحتري البائية هي التي مطلعها:

أجدَّك ما ينفك يسري لزينبا خيالٌ إذا آب الظلام تَأَوَّبا

ومـن خـدِّهـا يـحـمَـرُّ يـاقـوتُ عِـقْـدِهـا
ويـصـفَـرُّ إِمَّـا خَـجْـلـةً أَو تَـهـيُّـبـا
أَبـو ثَـغْـرِهَـا الـدُّرُّ الـذي فـي عـقـودِهـا
ولـكـن رأَيـتُ الإِبـنَ قـد فـضَّـل الأَبَـا
تُـغـيـر فـتَـسْـبـي بـالـلِّـحـاظِ عـقـولَـنَـا
وكـم مـن شـجـاعٍ قـد أَغـارَ ومـا سَـبَـى
وقـد أُوتِـيـتْ فَـصْـلَ الخـطـابِ مـلاحـةً
فـأَوجَـز فـيـها الخَـصـرُ والـرِّدْفُ أَسْـهَـبَـا
مُـعـذِّبَـتـي لـولاك لـم يَـعـذُبِ الـرَّدى
ولا كـنـتُ فـي جـنّـاتِ عَـدْنٍ مُـعـذَّبـا
ولا كـان قَـلْـبـي بـالـهـمـوم مُـكَـحَّـلاَ
ولا كَـانَ طـرْفـي بـالـدِّمـاءِ مـخـضَّـبـا
ولا كـان جسمِي مـن هُـزالـيَ مُـخْـصِـبًـا
ولا كـان خَـدِّي مـن شُـحـوبـيَ مُـعْـشِـبَـا
وأَبْـصَـر طَـرْفـي فـي الـدُّجـى أَلْـفَ كَـوْكـبٍ
فـلـم أَر فـيـهـم غَـيـرَ وجـهِـك كَـوْكَـبَـا
تحـيَّـر دَمْـعـي بـين جَـرْيٍ ووقـفـةٍ
فـكـيـف تُـراهُ مِـثْـلَ قَـلـبـي مُـذَبْـذَبَـا
ومـذ قـوَّضـوا أَظْـنَـابَـهُـمْ صـار نـاظِـري
خِـبـاءً ولـكـن بـالـدمـوعِ مُـطَـنَّـبَـا
سـقـى الـلـه أَيـامَ الـشَّـبـاب مـدامِـعـي
عـلـى زيـنـبٍ لا واخَـذَ الـلـه زيـنـبـا

فـــذاك زمـــانٌ كـــلُّ عـيـشـي بـــه رِضًـــا
وكـــلُّ نـسـيـمٍ هـــبَّ مـن صَـبْـوتـي صَـبَـا
وتُـضـمِـرُ حُـبِّـي كـلُّ ضـامـرةِ الحشَـا
وتُـنْـعِـمُ عُـشّـي كـلُّ نـاعـمـةِ الـصِّـبـا
تـكـاثـرَ لَـثْـمُ الـغَـانـيـاتِ بـعَـارِضِـي
فـكـدتَ تـــراهُ بـالـمـبـاسِـمِ أَشْـنَـبَـا
تُـقـبّـلُـنـي عـــن قُـبـلـةٍ أَلـــفَ قـبـلـةٍ
وحُـلِّـلَ فـي شَـــرْع الـهَـوى ذلِـك الـرِّبَـا
فـأَثـكـلَـنـي الـــدَّهـــرُ الـشَّـبـابَ وإِنَّمـــا
أُطَـاعِـنُ مـن بـعـدِ الـشَّـبـابِ بـلا شَـبَـا
أَســـاءَت بـــيَ الأَفـــلاكَ غـــارْت نجومُـها
ولا نـزعَـتْ مـن مَـلْـبـسِ الحُـــزْنِ غَـيْـهَـبَـا
ويـا لـيت شِـعْـري مَـنْ لـمـن أَشْـتـكـي لـها
أُخَـاطِـبُ ثَـــوْرًا أَمْ أُعَـاتِـبُ عَـقْـرَبـا
رجـعـتُ بـهـا عـن حَـضْـرَةِ الـعـزِّ والـعُـلاَ
وحـيـدًا وقـد كـنـت الـنَّـجـيَّ الْمُـقَـرَّبَـا
وأَصبحتُ مُقْصَى بعد أَن كنت مُصْطَفًى
وأَمـسـيـتُ مُـلـقًـى بـعـد مـا كـنـتُ مُـجْـتَـبـى
نـأَيـتُ فـيـا شـوقـاهُ عـن أَبـيـضِ الجَـدا
وسـرتُ فـيـا لـهـفـاهُ عـن أَخـضـرِ الـرُّبَـا
عَـنِ المـالـكِ الأَمْـــلاكِ رأْيًـــا وحـكـمـةً
وفـاضِـلـهـم عِـلْـمًـا وحِـلْـمًـا ومَـنْـصِـبـا

تجـوبُ مـلـوكُ الأَرض أَقـصَـى بـلادِهـا
لِـبـابٍ تـراهـا فـيـه خـسـأَى ولُـغَّـبـا
رأَيـتُـهـمُ يـأْتُـونَ مـنـه مـعـظَّـمًـا
وأَبـصـرتُـهُـمْ يـسـتـأَذِنُـونَ المُحَـجَّـبـا
يَـطَـوْنَ بِـسـاطًـا فـيـه لـلشمس مَـنـصِـبٌ
كـمـا أَنَّ فـيـه لـلـسَّـحـائـبِ مَـسْـحَـبَـا
أَقـمـتُ بـه بَـيْنَ الـبـشَـاشـةِ والـقِـرى
وإِن شـئْـتَ قُـل بـين المحـبَّـة والحَـبَـا
أعـانـقُ لـلآمـالِ قَـدًّا مُـهَـفْـهَـفًـا
وأَلْـثـمُ ثـغـرًا لـلأَمـانـيِّ أَشْـنَـبـا
وأُوصِـلُ رزقًـا كـان مـن قـبـلُ قـد نـأَى
وأُنْـهِـضُ جـدًّا كـان مـن قَـبْـلُ قـد كَـبا
وأَشـفـعُ حـتـى لا تُـردَّ شـفـاعَـتـي
ولـو فـيَّ إِذ أَصـبـحـتُ بـالـبُـعـدِ مُـذْنِـبـا
وكـم سِـيـقَ مـن نُـعـمـى إِلـيَّ ونـعـمـةٍ
وكـم قـيـل لـي أَهـلاً وسـهـلاً ومَـرْحَـبَـا
فـلا يَـذكُـرَنْ آلَ المـهـلَّـب ذاكـرٌ
فـقـد جـاءَ مـن يُـنـسـيـهـمُ أَلُـهَـلَّـبَـا
فيا جَـذَلِـي إِن كنتَ فـي الخُـلْـدِ حاضـرًا
ويـا أَسـفـي إِذ كـنْـتُ عَـنـهُ مـغَـيَّـبَـا
لِـسـوءِ اخـتـيـاري كـان لـي عنك مَـذْهَـبٌ
عـلـى أن قـلـبـي لـم يـجـد عـنـك مذهبا

ولــولا أبــي مــا كــان بــي عـنـك مَـرغـبٌ
وكـيـف أَرَى عـن جـنَّـةِ الخـلـدِ مَـرْغَـبَـا
وكــم لــكَ لــولا ســوءُ بـخـتـي نـعـمـةٌ
مَـنَـنْـتَ بـهـا لـو شـئـتَ سـمَّـيـتَـهـا أَبَـا
وبـعـد أَبــي كـم نـعـمـةٍ مـنـك نـلـتُـهـا
فـأَلـفـيـتُـهـا أَحْـلـى وأَهْـنَـا وأَعـجـبـا
أَبَــى لــيَ أَن أَبـقـى الـسـعـيـدَ بـزعـمـهـم
شـقـاءٌ أَبَــى أَن يُـسِـعـدَ المـرءَ إِنْ أَبَـى
شـقـاءٌ دهـانـي لـم أَجـد عـنـه مَـصْـرِفًـا
وخـطـبٌ أَتـانـي لـم أَجـد عـنـه مَـهْـرَبـا
وأَيُّ امــرئٍ يـخـتـاره الـسَّـعْـد مـأْلـفًـا
فـيـخـتـارُ عـن ذاك الجـنـاب تَـجَـنُّـبَـا
ولــو عُــدْتُ بـالـمـلـكِ الـعـقـيـم وإِنـنـي
رَجــعْــتُ بـه مـا كـنـت إِلاَّ مُـخَـيَّـبَـا
رجـعـت أَعَــضُّ الـراحـتـين ورَاحَـتـي
إِذا ضـاقَ صـدرِي أَن أُبَـكِّـى وأَنْـدُبَـا
وأَطْـلـبُ بـعـد الـبـينِ شـمـلاً مُـنـظـمًـا
فـأَطـلـبُ بـعـد الـصـبـحِ نجـمًـا مُـغَـرِّبَـا
فـيـا لـهـفَ نـفـسِـي لـو أَقـمـتُ فـقَـامَ لـي
مَــنَــارٌ بِمــوْلًــى نُــورُه قـطُّ مـا خَـبَـا
وكــان دَرَى أَيَّ الـبـريّـةِ عِـنـدَه
وكــان رأَى أَيَّ الــرجــالِ المـهـذَّبَـا

وكـــان إذا لاقـــى بِـــحَـــدَّيْ صَـريمـةٍ
رآنـــيَ سَـيْـفًـا فـي الـرِّقـاب مُـجـرَّبَـا
أَمـــولـــىَ المـــوالـــي إِنـــنـــي بقصيدتي
شـكـوْتُ لِـتَـرْثـي لا شَـــــدَوْتُ لـتَـطْـرَبَـا
أَقِـلْـنـي أَقِـلْـنـي تُـبـتُ تـوبـةَ نـاصـحٍ
لـترضَـى ولـم أُذْنِـــبْ بجهلي لتغضبَا
ولـــي طـمـعٌ فـي حـسـن رأْيـــك صـــادقٌ
ومـا طـمـعِـي فـي حـسـنِ رأْيـــكَ أَشـعـبـا

****

(39)

وقال يعتذر إلى من عتب عليه في ترك القيام له[1]:

[الطويل]

أَمـانًـا فـإِنِّـي مِـنْ عِـتَـابِـكَ خـائِـفُ
وعـفـوًا فـإِنِّـي بـالجـنـايـةِ عَـارِفُ
على أَنَّ لـي عـذرًا فـإِن كُـنْـتَ مُـنْـصِـفًا
فـكـن قـابـلاً أَوْ لاَ فـإِنـك حَـائـفُ
ومـا كَـانَ شُـغْـلـي عـنـك إِلاَّ لأَنَّـنـي
بـفـكـرِي عـلـى تحْـبِـيـرِ شـكـرِك عَـاكِـفُ
وإِن كـان جِـسْـمِـي عـند لُـقْـيـاك قـاعـدًا
فـإِنَّ فـؤادِي قـبـل لُـقْـيَـاك واقِـفُ
وإِن كُـنْـتَ قـد أَخَـلَـيْـتَ مـنِّـي مَـواقِـفًـا
فـلـي فـي مـقـامـاتِ الـثـنـاءِ مـواقِـفُ
شـكـرتُ عـتـابًـا رَقَّ مـنـك وَراقَـنـي
فـقُـلْـتُ سُـلافٌ عَـتْـبـهُ وسَـوَالِـفُ
وبـرَّحْـتَ لـي لمـا تَـعـطَّـفْـتَ مُـعْـرِضًـا
وكـم بَـرّحـت بـالـعـاشِـقـين المـعـاطِـفُ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 548.

بـحـقـك إلاَّ مـا مَـنَـنْـتَ بـعَـطْـفَـةٍ

فـمـثـلِـي بـلا شـكٍّ لمـثـلـكِ عَـاطِـفُ

وحـسـبُك فـضـلاً أَن تُـرَى لـيَ عـاذرًا

وحـسـبـيَ فـضـلاً أَنَّـنـي لـك وَاصِـفُ

✷✷✷✷

(40)

وقال في الاستعطاف[1]:

[مجزوء الكامل]

أَنـــا غـــرسُ بـيـتـكَ إِن أَرَدْ
تَ فـأَظِـمـه أَو شِـئْـتَ فـاسْـقِـهْ
وكـــذا بِـــصَـــدِّك إِن أَرد
تَ فـأَفـنِـه أَو شِـئْـتَ أَبْـقِـهْ
وكـــذاك نَـــعِّـــمْـــه إِذا
أَبـقـيـتَـه أَوْ لاَ فـأَشْـقِـهْ
رقَّـــيـــتَـــهُ وحـــطَـــطْـــتَـــهُ
هَـــوْنًـــا فـلـيـتـك لـم تُـرَقِّـهْ
ووقـــيـــتَـــه لـــكـــن رضـــا
كَ فـلـيـتَ أَنَّـــك لـم تُـوقِّـه
عـــوّضـــتَـــه مـــن قُـــرْبِـــه
ودنـــوّ مـوضـعِـهِ بـسُـحْـقِـه
وجَـعَـلْـتَـه غَـرضًـا لِـنَـبْـ
ـلِ زَمَـانِـهِ الـرَّامـي وَرشْـقِـه
والـسـعـدُ طـارِقُ هـمِّـه
بـالجِـدِّ فـي تَـطْـبـيـقِ طُـرْقِـه

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 549.

وَفَـــتَـــقْـــتَ أَمـــــرًا أَنـــت بَـعْـ

ـــدَ الـــلـــهِ مـــأَمـــولٌ لـــرَتْـــقِـــهْ

هَـــــــذَا بِـــــلا ذنـــــــبٍ أَتـــا

هُ جَـــزَيـــتَـــهُ عـــنـــه بِـــحَـــقِّـــهْ

هـــو عـــبـــدُ أَنْـــعُـــمِـــكَ الـــتـــي

لا ذاقَ مـــنـــهـــا طـــعـــمَ عِـــتْـــقِـــه

ورقـــــيـــــقُ جـــــــودِك لا رأَيـــــ

ـــتَ خـــــروجَـــــهُ مـــن تَحـــــتِ رِقِّـــــه

يَـــشْـــكُـــو وَقَـــــدْ أَعـــــرضْـــــتَ ضيـ

ـــقـــةَ أَرضِـــــــــه وظـــــــلامَ أُفْـــقِـــه

فـــاعْـــطِـــفْ عَـــلَـــيْـــهِ فـــــإِنَّ عَـــطْـ

ـــفَـــك إِن أَتـــــى فـــلِـــمُـــسْـــتَـــحِـــقِّـــه

وارْفُـــــــــقْ بـــــه فـــــســـــواكَ يَـــبـ

ـــخَـــلُ مـــن مَـــــودّتِـــــه بـــرفْـــقِـــه

وامْـــنُـــــــنْ عـــلـــيـــه قـــبـــل مَـــحْـ

ـــقِ فـــــــؤادِهِ هَـــمًّـــا ومَـــحْـــقِـــه

يـــا غـــيـــثَـــه يـــا أُسَّ بـــيـ

ـــتِ حـــيـــاتِـــه يـــا بـــــابَ رِزْقِـــــه

****

(41)

وقال في معاتبة[1]:

[البسيط]

أَلــومُ نَـفْـسِـي عـلـى هـذا الـعـتـابِ ومـا
تـكـلَّـم الحــرُّ إلاَّ وهْــوَ مَـكْـلُـومُ
لأَصْــبــرنَّ عـلـى مـا قـد مُـنِـيـتُ بـه
فـالـدَّهـرُ يـومـانِ مـحـمـودٌ ومـذْمُـومُ
وأُصْــبِــحَــنَّ ولــي نَـفْـسٌ بِـعـزَّتـهـا
مـخـطـومـةٌ وفَــمٌ بِـالـصَّـمْـتِ مَـخْـتُـومُ
لا أَسْـتـزيـدُك فـيـمـا قـد مُـنِـيـتُ بـه
ولا أَسـومُـكَ أَمــرًا فـيـه تَـغْـرِيمُ
ولا أَلــومُــك فــي بِــرٍّ تـقـدِّمُـه
فـلـلـمَـقـاديـرِ تحـلـيـلٌ وتَحْــريمُ
فَـقَـدْ بَـسَـطْـتُ لِــذَاكَ الـفـعْـلِ مَـعْـذِرةً
لـمـا تـيـقَّـنـتُ أَنَّ الــرزقَ مَـقْـسُـومُ
لـكـنَّـهـا نَـفْـثـةُ المـصـدور جَــادَ بـهـا
فَـتًى مـن الـدّهـر مَـصْـدُوعٌ ومَـصْـدُومُ
عَــادَانِــيَ الــدّهــرُ لـمـا رَاعَــه أَدَبــي
وســرَّ يــومٌ عـظـيـمٌ فـيـه مَـكْـتُـومُ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 550.

ومـــا يُـــصـــادِفُ مـنـي غَـيـرَ مُـصْـطَـبِـرٍ
لَـــهُ عـلـى الـنَّـفـس تـخـيـيـرٌ وتَحْـكـيـمُ
لـلْـبُـلْـه مـنـه مـــبـــرَّاتٌ وتـكـرمـةٌ
ولـلـحَـمِـيـر مـــســـرَّاتٌ وتَـنْـعِـيـمُ
فـــإِنْ كَـسَـاهُـمْ وعـرَّانـي فـلا عَـجَـبًـا
الـقِـرْدُ يَـضْـحـك والـضِّـرغَـامُ مَـهْـمُـومُ
وربمـــا عـــاشَ هـــذا جـائـعًـا أَبـــدًا
وفـــاز بـالـرِّيِّ بـعـد الـشِّـبْـع عُـلْـجُـومُ
هـذي أَسـاطـيـرُ قـد سَـطَّـرتُـهـا سَـقَـمًـا
فـهـل عـلـمـتـم بـــأَن الـفِـكْـرَ مَـحْـمُـومُ

✶✶✶✶

باب النقد والزهد

(42)

من شعره في الحث على التنسك والزهد في الحياة الدنيا، قوله[1]:

[الخفيف]

تـدّعِـي الـعـقْـلَ وهْـوَ أَشـرفُ مـا فِيـ
ـكَ فـلِـمْ صَـارَ دَاخِـلاً تَحْـتَ حِـسِّـكْ
وكـذا حَـبْـسُـك الحـيـاةَ وقـد أَصْـ
ـبَحْت لا تشْتـهي سـوَى طُـول حَـبْسِـكْ
وتُـرجِّـي الـبـقـاءَ فـي يَـوْمِـك الآ
تـي ولـم تَـتَّـعِـظْ بـذاهِـب أَمْـسِـكْ
طَـلِّـقِ الـنَّـفْـسَ فـهْـي أَخْـوَنُ عِـرْسٍ
أوَ لـيْـسَـتْ هِـيَ الـمُـشِـيـرُ بـعُـرْسِـكْ
واجـعـلِ الـدهـرَ مـأتمًـا لـنـرى فـي الْـ
ـقـبـرِ يـومَ المـمـات لـيـلـةَ عـرسـك
وَإِذا رُمْـتَ أَنْ تُمَـاريَ فـاسْـكُـتْ
وإِذا شِـئْـت أَن تُـلاحـي فـأَمْـسِـكْ
وإِذا اخـتـال فـوق أَرْضِـكَ مِـنْـك الْـ
ـعِـطْـفُ فـاذكُـرْ هَـوَانَـهُ تَحْـتَ رَمْـسِـكْ

---

(1) عد الصفدي هذه القصيدة في قافية السين وحجته في ذلك أن الكاف ليست أصلية. وقد عدها الدكتور محمد عبدالحق في قافية الكاف؛ إذ إنها جاءت في البيت السادس والتاسع أصلية. (راجع الغيث جـ 2 ص 228). (ديوان ابن سناء الملك، ص 552).

لا تـغـالِـطْ فـمـا تـنـالُ رضَـــى الـرَّحْـ
ـمـنِ حـقًّـا إلاَّ بـإِغْـضَـاب نَـفْـسِـك
مـا أَهـــانَ الـــوَرَى ولا مَـلَـكَ الـدُّنْـ
ـيَـا ولا حَـــازَهـــا ســـوى المُـتـنَـسِّـك

✶✶✶✶

(43)

ومن شعره في وصف النفس البشرية المجادلة[1]:

[مجزوء الرجز]

عـــــزَّ إِلَـــــــــهُ الـــعَـــالَـــمْ
وذلَّ إبـــــــــنُ آدمْ
يُـــخَـــاصِـــمُـــونَ ربَّـــهـــم
والـــــــــرَبُّ لا يُـــخَـــاصَـــمْ
وحـــــاكَـــــمـــــوه لـــلـــنُّـــهـــى
وعِـــــــنْـــــــدَهُ تُحـــــاكَـــــمْ
وقـــــائـــــلٍ: لِـــــمْ كَـــــانَ ذا؟
وقـــــائـــــلٍ: لِـــــمْ لاَ ولَـــــمْ؟
قـــد سَـــلِـــمُـــوا لـــو سـلَّـــمـــوا
وقـــــد نَجـــــا مَـــــنْ سَـــــالَـــــمْ؟
ومُـــــــــــــــدَّعٍ بـــــأَنَّـــــه
فـــــي الـــعِـــلْـــم لا يُـــقَـــاوَمْ
رأَى الـــــزَّمـــــانَ حَـــــادِثًـــــا
فـــــقـــــالَ: قـــــد تَـــــقَـــــادَمْ
ومـــــــا دَرَى بـــــأَنَّـــــه
لِـــفِـــعْـــلِـــهِ قَـــــدْ صَـــــادَمْ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 553.

يُـــفْـــحِـــمُـــه وَيـــدَّعِـــي
بـــأَنَّـــه قَـــدْ كَـــاتَمْ
يـــا حُـــسْـــنَ مـــا جـــاءُوا بِـــه
لـــو تـــمَّ لـــكِـــنَّ مَـــا تَـــمْ
إن يـــرجُ إلا حَـــرْبَـــه
مـــا تـــمَّ إلا مـــا تـــمْ
مَـــاتَ الـــهُـــدَى مـــا بَـــيْـــنَـــنـــا
فـــكـــلُّـــنَـــا مـــآتِمْ

✱✱✱✱

(44)

ومن شعره في الزهد والوعظ[1]:

[البسيط]

قد كان ما كان من جَهْلِي وطغيَانِي
وجاءَ ما جاءَ من نُسْكِي وإِيمَانِي
وسُرَّ من بَعْدِ غمِّ النفسِ بي مَلَكي
واغتمّ بعد سرور النفس شَيطَانِي
فما المعمَّمُ بعد النُّسْكِ مِنْ أَرَبِي
ولا المُقَنَّع بعد الزُّهد مِنْ شاني
نَسيتُ إِلفًا بَخِيلاً لَيْسَ يَذْكُرُني
بذكرِ ربٍّ كَرِيمٍ لَيْسَ يَنْسَانِي
وخِفْتُ عِصْيانَ من لو شاءَ أَهْلَكَني
واخترتُ طاعةَ من لو شاءَ أَنْشَانِي
وعِفْتُ دُنْيَا تُسَمَّى من دَنَاءَتِها
دُنْيا وإِلاَّ فَما مَكْرُوهُها الدَانِي
ضحكْتُ فيها وإِنِّي قد بَكَيْتُ بها
فالجهلُ أَضْحَكَني والعَقْل أَبْكاني
هذا وقد نلتُ ما لا نَالَه أَحَدٌ
في الدَّهرِ مِنْ نيل أَوطارِي بأَوْطَاني

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 554.

مـحـجَّـبُ الـعِـزِّ لا تَـعْـلـو يـدٌ لِـيَـدِي
قـهـرًا ويَـعْـدوُ عَـلَـى السُّـلْـطـانِ سُـلْـطَـانـي
بـيـن الـعَـزِيـزَيْـنِ مـن جـاهٍ ومـن كـرمٍ
إِلـى الـرفـيـعـينِ مـن قَـدْرٍ ومـن شَـانِ
أُكْـسَـى وأَخْـلَـعُ أَثـوابَ الـنَّـعـيـم فـكَـم
جـرَّرتُ لـلـتِّـيـه أَذيـالـي وأَردانـي
مُـنـعَّـمٌ بـيـن جـنَّـات مُـعـجَّـلَـةٍ
وضُـمَّ مـا شِـئْـتَ مـن حُـورٍ وولـدان
وكـم سـبَـتْـنـي بِـلا حَـرْبٍ وكـم فَـتَـنـتْ
إِنْـسَـانَ عَـيْـنـيَ فـيـهـا عـيُـنُ إِنْـسَـان
وطَـالـمـا أَصْـبَـحَـتْ شـمـسُ الـنَّـهـارِ بِـهـا
ضـجـيـعـةً وبُـدُورُ الـتِّـمِّ نُـدْمَـانـي
أَعْـيَـا وأَتـعـبُ مـن ضـمٍّ ومـن قُـبَـلٍ
فـأَسـتـريـحُ إِلـى راحٍ ورَيْـحَـانِ
ثـم انـتـهـيـتُ ولـو لـم يُـنْـهِـنِـي أَنَـفـي
مـن الـزمـان لـكَـان الـشـيْـبُ يَـنْـهَـانـي
قـد شـيَّـب الـشـيـبُ أَوطـارَ الـفُـؤَادِ كَـمَـا
أَبْـلَـى جَـدِيـدَ لُـبَـانَـاتِـي الجَـدِيـدَانِ
لا ترغبي يـا ابـنـةَ الـعشـريـنَ فـي صِـلَـتي
إِنَّ الـثـلاثِـيـنَ هـدَّتْ ثُـلْـثَ أَرْكَـانـي
فـيـا لَـكَـثْـرةِ أَشـجـانـي وأَحْـزَانـي
ويـا لِـقـلـةِ أَنـصـاري وأَعْـوانـي
سَـلـنـي عـن الـدَّهـر لا تَـسْـأَلْ سَـوَايَ به
ولا تـسـلْـنـيَ عـن هـمِّـي وأَحْـزَانـي

وإن بـكَـيْـتُ فـنـكِّـبْ عـن مُـجَـاوَرَتـي
واحـــذَرْ وإيَّـــاكَ مـن طُـوفَـانِ أَجْـفَـانـي
أَمَّـــا دُمُـوعِـي وخَـوْفـي مَـعْ مُـراقَـبَـتـي
فـمـن ذُنُـوبـي وطُـغْـيـانـي وعِـصْـيـانـي
هَـــمٌّ ودَمْـــعٌ وخَـــوْفٌ وافـتـقـارُ يَـدٍ
هـذي خُـصُـومٌ ومـا هَـــذَانِ خَـصْـمـانِ
إِلـيـكِ عـنـيَ يـا دُنْـيَـا إِلـيـك فَـلـي
فـي وصْـل مِـثْـلِكِ شَـانُ المبغِضِ الشَّـاني
فـي وَحْـشَـةِ الـقَـبْـر والـــدُّودِ المـقـيـم به
شُـغْـلٌ لِـنَـفْـسِـيَ عـن دَارِي وبُـسْـتَـانـي
أَقـــول دَارِي وجِـيـرانـي مُـغَـالَـطَـةً
والـقـبـرُ دَارِيَ والأَمْـــوَاتُ جِـيـرَانـي
ســأُوسِـعُ الـقَـبْـرَ بـالأَعـمـالِ أُصـلـحُـهـا
جُـهْـدي وأَلْـبَـسُ زُهْـدِي قَـبْـلَ أَكـفَـانـي
وقـد أَجَـبْـتُ نِـــدَاءَ الـلـهِ حِـينَ دَعَـا
وقـلـتُ لَـبَّـيْـكَ عـن شـوْقـي وأَشْـجَـانـي
فـــإِنْ رَشَـــدْتُ وغَـيْـرِي فـي غـوايَـتِـه
جـهـلاً فـإِنِّـي بـصـيـرٌ بَـــيْنَ عُـمْـيـان
وإن خَـرَجْـتُ مـن الـدُّنْـيَـا ولـذَّتِـهـا
طـوعًـا فـيـا ربْـحَ بَـخْـتـيَ بَـعْـدَ خُـسْـرانِ
وكـيـف آسـى عـلـى الـدُّنْـيَـا ولـذَّتِـهـا
وقـد تـعـوَّضْـتُ بـالـبَـاقـي عَـنِ الـفَـانـي

✱✱✱✱

(45)

وقال في الزهد أيضًا[1]:

[مجزوء الكامل]

أَصْـبَـحْـتُ لـلـدُّنْـيـا الـدَّنِـيْـ
ـيَـة كـارهًـا لا أَشـتـهـيـهـا
وعَـقَـقْـتُ مـنـهـا طـائِـعًـا
أُمِّـي فـمـا أَنـا مـن بَـنِـيـهـا
ووهـبْـتُـهـا مِـنـي لِـبَـا
ئِـع نَـفْـسِـه كَـيْ يَـشْـتَـرِيـهـا
ورفـضْـتُـهـا لِـغُـرورِهـا
ولخِـسَّـة الـشُّـرَكَـاءِ فـيـهـا

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 556.

(46)

وقال في الدنيا والآخرة وهو آخر ما قاله[1]:

[السريع]

أَحسنَتِ الدنيا التي اسْتَرْجَعَتْ
مِنِّيَ تِلك الحالةَ الفَاخِرَه
ما شَغَلَتْ بالي بتقبِيحها
بل فرَّغَتْ قَلْبي إِلى الآخره

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 556.

باب الفخر

(47)

من شعره مفتخرًا بجرب أصابه[1]:

[الخفيف]

لـعُـلُـوِّي جَـرِبْـتُ لا لانْـخـفَـاضِـي
جَـرَبـي رفـعـةٌ وإِن كَـانَ داءُ
جَـرِبَـتْ مِـثْـلِـيَ الـسَـمـاءُ ونَـاهِـيـ
ـكَ عـلـوٌّ أَن أَشْـبَـهْـتـنـي الـسَـمـاءُ
ولـذا أَجـمـع الـرواةُ ومـا خُـو
لِـفَ فـيـهـا أَنَّ اسـمـهـا الجَـرْبَـاءُ

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 557.

(48)

وقال في الفخر والعتاب[1]:

[المتقارب]

أَيَـدْفَـعُـنـي الـدَّهْـرَ عَـنْ مَـطْـلَـبـي
ويُـكْـثِـرُ مـن لُـؤْمِـه المَـطْـلَ بي
ويَـقْـصِـدُ صـدِّي إذا مـا صَـدَايَ
أَرَادَ الـوُرُودَ عَـلَـى مَـشْـرَبـي
وإِنْ رُمْـتُ أَسْـهَـلَ شَـيْءٍ عليهِ
تَـرَاهُ يـصـلِّـي عَـلـى أَشْـعَـبِ
وأَسـأَلُـه نَـقْـلَ أَخْـلاَقِـه
فَـيُـنْـشِـدُ بَـيْـتَ أَبـي الـطـيِّـب
ولـم يـدرِ أَنِّـي كـثـيـرُ الإِبـاءِ
وأَنَّ الـرَّشِـيـدَ المـرَجَّـى أَبـي
وأَنِّـي بِـه قَـد فَـخـرْتُ الأَنـامَ
بـفـضـلِ الـنِّـصـابِ مَـعَ المَـنْـصِـبِ
وأَنِّـي لـو شـئـتُ مـن سَـعْـدِه
لأَنْـعَـلْـتُ رِجْـلـيَّ بـالـكَـوكَـب
ولـو شـئـتُ كَـان لَـديَّ الـهِـلالُ
بِـنَـهْـرِ المـجـرَّةِ كـالـركـب

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 557.

ولـكـنَّ لـي أَرَبًـا لـو أَرادَ
لـصـيَّـرهُ غَـيـرَ مُـسْـتَـصْـعَـب
رجَـوْتُ بـه أَن أَنَـال الـعُـلـى
وأَن يُـفْـتَـدَى الـفَـخْـرُ مِـنْ مَـنْـصِـبِ
وأَن أَلـبـسَ الـعـزِّ مُـسْـتَـمْـتِـعًـا
وأَن أَطْـرحَ الـذُّلَّ عـن مَـنْـكبـي
ومـن لـم يـكـنْ فـي الـعُـلا نَـاصِـبًـا
يُـرَى وهْـوَ فـي الـقَـوم لـم يُـنْـصَـبِ
ومـن لـم يَـسـرْ نَـحـوهـا لَـم يَـسِـرْ
بـنُـجـحٍ لـقَـصْـدٍ ولا مَـطْـلَـبِ
ومـن لـم يـسُـد فـي الـصِّـبـا لـم يَـسُـدْ
إِذا صَـار فـي حِـلْـيـةِ الأَشْـيَـب
فـيـا سـيِّـدي إِنَّـنـي عَـاتِـبٌ
عَـلَـيْـكَ ولـو شِـئْـتَ لَـمْ أَعْـتِـب
لـقـد أَسـكَـرَتْـنـي خُـمـورُ الخُـمـولِ
وأَنـت تحـلِّـلُ لـي مَـشْـرَبـي
أَيـطـلـعُ فَـجْـر سُـعُـودِي وَلاَ
أَفِـرُّ إِلـيـه مـن الـغَـيْـهَـبِ
بـحـقِّـك إِمّـا عَـصَـيْـتَ الحُـنُـوَّ
وجَـوَّزْتَ فـي تَـرْكِـه مَـذهـبـي
وهـوَّنْـتَ أَمْـرَ فِـرَاقـي عَـلَـيْـكَ
فـمـا هـوَّنَ المـرءُ لـم يَـصْـعُـبِ
فـإِنْ قُـلْـتَ لاَ ثُـمَّ أَبْـصَـرْتَـنـي
عَـتِـبْـتُ عَـلَـيـك فـلا تَـعْـتِـب

****

(49)

ومن شعره مفتخرًا بنفسه ومعتزًّا بقوته وصبره[1]:

[الطويل]

سِـوَايَ يَـخَـافُ الـدَّهْـرَ أَو يَـرْهَـبُ الـرَّدى
وغـيـرِي يَـهْـوَى أَنْ يَـكـونَ مـخـلَّـدَا
ولـكـنَّـنـي لا أَرْهَـــبُ الـدهـرَ إِنْ سَـطَـا
ولا أَحْـــذَرُ المـوتَ الـــزُّؤَامَ إِذَا عَـدا
ولـو مَـدَّ نـحـوي حـــادِثُ الـدهـرِ طَـرْفَـهُ
لحـدَّثـت نَـفْـسِـي أَنْ أَمُـــدَّ لَـــهُ يَـدا
تَـوقُّـدُ عَـزْمِـي يـتـركُ المـاءَ جَـمْـرَةً
وحِـلْـيَـةُ حِـلْـمـي تَـتْـرُكُ السَـيْـفَ مـبْـرَدَا
وفـــرْطُ احْـتـقَـارِي لـلأَنـامِ لأَنَّـنـي
أَرَى كـل عـارٍ مـا خـلا سُـــؤْدُدِي سُـدَى
وَيـــأْبَـى إِبـائِـي أَن يَـرَانـيَ قـاعـدًا
وَأَلاَّ أَرَى كُـلَّ الـبـريَّـةِ مُـقْـعَـدَا
وأَظـمـــأُ إِن أَبْـــدَى لـي المـاءُ مِـنَّـةً
ولـو كـانَ لـي نَـهْـرُ المـجـرَّة مَـــوْرِدَا
ولـــو كـــان إِدراكُ الـــهُـدى بـتـذلُّـلٍ
رأَيـــتُ الـهُـدَى أَلاَّ أَمِـيـلَ إِلـى الـهُـدَى

(1) في القصيدة مبالغة شديدة، وقد لفتت هذه القصيدة نظر النقاد، فعلق عليها ابن حجة الحموي في كتابه «خزانة الأدب» مقرظًا (ص 63)، ووصفها ياقوت الحموي في كتابه «إرشاد الأريب» (جـ7 ص 237)، بأنها من شعره الذي سارت به الركبان.. والقصيدة طويلة، كل بيت منها فريدة في عقد. (ديوان ابن سناء الملك، ص 559).

وقِـدْمًـا بـغـيـري أَصْـبَـح الـدَّهـرُ أَشْـيَـبًـا
وبـي بـل بِـفَـضْـلـي أَصْـبَـح الـدَّهـرُ أَمْـرَدَا
وإِنَّـــك عـبـدي يـا زَمَـــانُ وإِنَّـنـي
عـلـى الـكُـرْهِ مـنِّـي أَنْ أُرَى لَـكَ سَـيِّـدَا
ولِـمْ أَنـا راضٍ أَن أُرَى وَاطِـئَ الثَّرى
ولـي هِـمَّـةٌ لا تـرتـضـي الأُفْـقَ مَـقْـعَـدا
ولـو عَـلِـمَـتْ زُهْـرُ الـنـجـومِ مَـكـانَـتـي
لَخَـرَّتْ جـمـيـعًـا نَـحْـوَ وَجْـهِـيَ سـجَّـدا
أَرى الخَـلـقَ دُونـي إِذ أَرَانـيَ فَـوْقَـهُـم
ذَكـاءً وعـلـمًـا واعـتـلاءً وسُـؤْدُدا
وبـذلُ نـوالـي زاد حـتَّـى لـقـد غَـدَا
مـن الـغـيـظِ مِـنْـه سـاكـنُ الـبَـحـر مُـزْبِـدَا
وكـم سـائـلٍ لـي قَـدْ مَـضـى وَهْـوَ قـائِـلٌ
فِـداك بـخـيـلٌ نـدَّ عـن كَـفِّـه الـنَّـدى
ولـي قَـلَـمٌ فـي أَنْمُـلـي إِن هَـزَزْتُـه
فـمـا ضـرَّنـي أَلاَّ أَهُـزَّ المُـهـنَّـدا
إِذا صـال فـوق الـطِّـرْسِ وقـعُ صَـريـرِهِ
فـإِنَّ صَـلِـيـلَ المـشـرفـيِّ لَـهُ صَـدَى
ومـحـرابُ طِـرْسٍ وهْـو داودُ سـاجـدًا
وإِن شـاءَ حَـاكَ الـطِّـرْسَ دِرْعًـا مُـسـرَّدا
وإِنْ رَفَـعَ المـقـدارُ أَو وَضَـعَ الـنَّـدى
فـمـنـه يـرجَّـى الجـدُّ أَو يُـرْتَجـى الجَـدى
ومـن كـلِّ شَـيْءٍ قـد صَـحَـوْتُ سِـوَى هَـوًى
أَقَـامَ عَـذُولـي بـالمَـلامِ وأَقْـعَـدَا

إذا وَصْـلُ مـن أَهْـوَاهُ لـم يَـكُ مُسْـعـدِي
فـليت عَـذُولـي كَـانَ بالـصـمت مسـعـدا
يـلـومُ ومـا يـدري بـكـون وصـالـه
مِـنَ الـنـجـم أعـلـى أو مِـنَ الأفـق أبـعـدا
يُـحِـبُّ حَـبـيـبـي مَـنْ يَـكُـونُ مـفـنِّـدي
فـيـا لَـيْـتَـنـي كـنْـتُ الـعـذُولَ المُـفـنَّـدا
وقـالـوا لـقـد آنَـسْـتَ نـارًا بِـخَـدِّه
فـقـلـت وإِنِّـي قـد وَجَـدْتُ بِـهَـا هُـدَى
وإِنِّـي لأَهْـوَى مِـنْـهُ ثـغـرًا مُـفَـضَّـضًـا
وإِنِّـي لأَهْـوى مـنـه خـدًّا مُـعَـسْـجـدَا
ولـم أُدْمِ ذَاكَ الخـدَّ بـاللـحـظ إِنَّمـا
عَـمِـلْـتُ خَـلُـوقًـا حـين أَبْـصَـرْتُ عَسْجدا
وكـم لـي إِلـى دَارِ الحـبـيـبِ الـتـفـاتَـةً
تـذَكِّـرُنـي عَـهْـدًا قَـدِيمًـا ومَـعْـهَـدا
لـقـد كـنـت فِـيـهَـا أُبـصِـرُ الـلـيـلَ أَبـيـضًـا
فـقـد صِـرْتُ فـيـهـا أُبْـصِـرُ الـصُّـبـحَ أَسْـوَدَا
يُـرَاقِـب طَـرْفـي أَنْ يَـلـوحَ هِـلاَلُـهـا
فـقـد طَـال مـا قـد صَـامَ حـتَّـى يُـعَـيِّـدا
عَـبـرْتُ عَـلَـيْـهـا واعْـتَـبَـرْتُ تَجَـلُّـدي
فـيـا خَـجَـلـي حـين اعْـتَـبـرْتُ الـتَّـجَـلُّـدَا
كَـأَنَّ بـطـرفـي مـا بِـقَـلْـبـي صَـبـابـةً
فـلـم يَـرَ تِـلْـك الـدَّارَ إِلاَّ تَـقَـيَّـدا
وكـم لجـوادِي وقـعـةً فـي عِـرَاصِـهـا
تـعـوَّدَ مـنـهـا جِـيـدُه مـا تَـعَـوَّدَا

تـعـوَّدَ ذاكَ الجِـيـدُ مِـنِّـيَ أَنَّـنـي
أُصَـيِّـرُه مـن دُرِّ دَمْـعِـي مُـقَـلَّـدا
ومـا تِـلْـكَ دَارٌ بـالـعـقـيـق ولا الحِـمـى
ولـكـنْ سَـمَـاءٌ إِذْ حَـوَتْ مِـنْـه فَـرْقَـدا
ويـا رُبَّ لـيـلٍ بـتُّ فـيـه وبَـيْـنَـنَـا
عِـنَـاقٌ أَعـاد الـعِـقْـدَ عِـقْـدًا مـبـدَّدَا
فـأَصـبـح ذَاك الـعِـقْـدُ مـنـيِّ مُـحَـسَّـرًا
وقـد طـال مـا قـد كـان مـنِّـي مُـحـسَّـدا
ولـم أَجـعـلِ الـكـفَّ الـشِّـمـالَ وِسَـادَةً
فـبـاتَ عـلـى كـفِّ الـيـمـينِ مُـوَسَّـدَا
وجـرَّدْتُـه مـن ثَـوْبِـه وأَعَـدْتُـه
بـثـوبِ عِـنَـاقـي كَـاسِـيًـا مُـتَـجـرِّدا
وقـرَّبـنـي حـتـى طَـرِبْـتُ إِلـى الـنَّـوى
وأَوْرَدَنـي حـتَّـى صَـدِيـتُ إِلـى الـصَّـدَى
شَـهِـدْتُ بـأَنَّ الـشَّـهـدَ والمـسـكَ رِيـقُـه
ومـا كُـنْـتُ لَـوْ لَـمْ أَخـتـبـرْه لأَشْـهَـدا
وأَنَّ الـسُّـلافَ الـبـابـلـيـة لَحْـظُـهُ
وإِلاَّ سَـلُـوا إِنْـسَـانَـه كَـيْـفَ عَـرْبَـدَا
مَـلـيٌّ بـكَـسْـر الجـفـنِ، والجـفـنُ قَـوْسُـه
فـكـيـف رَمَـى لـلـقـلـبِ سَـهْـمًـا مُـسَـدَّدا
فَـتِـهْ وتَـسـلَّـطْ كـيـف شِـئْـتَ فـإِنَّـمـا
خُـلِـقـتَ لأَشْـقَـى إِذ خُـلِـقْـتُ لِـتَـسْـعَـدا

✱✱✱✱

باب الوصف

(50)

من شعره في وصف بادهنج[1][2]:

[مخلع البسيط]

وبـــادهَـــنْـــجٍ عَـــلاَ بِـــنَـــاءَ
لـــكـــنَّـــه قـــد هَـــوى هـــواءَ
دام عـــلـــيـــلُ الـــنـــســـيـــمِ فـيـه
كـــأَنَّـــه يـــطـــلـــبُ الـــشِّـــفـــاءَ

****

(1)البادهنج: جهاز للتهوية صمم ببراعة في العصر العباسي، يبعث على البرودة في أوقات الحر، والدفء في أوقات البرد.

(2) ديوان ابن سناء الملك، ص 562.

(51)

وقال يصف فرسًا أشقر[1]:

[السريع]

وأَشـــقـــرٍ مـــا زِلْـــــتُ مـــن جَـــرْيِـــه
أَطْـــوِي بـــه الـبـيـدَ كـطـيِّ الـكِـتَـابْ
كـــأَنَّمـــا أَرجـــلُـــه فـــي الـفَـلا
أَنـــامِـــلٌ تُـــسـرِع لَـقْـط الحِـسَـابْ
يَـــجْـــرِي فـــلاَ أَعْـــلَـــمُ عُـجْـبًـا بِـه
أَمـــــارِدٌ أُبـــصـــرُه أَمْ شِـــهَـــابْ
كـــم غُـــصَّـــةٍ لـلـبـرقِ مـــن أَجْـــلِـــه
فـلـيت شِـعْـرِي كَـيـفَ حـالُ الـسَّـحـابْ
آثـــــارُه عِـــقْـــدُ نُـــهـــودِ الـــرُّبَـــا
ونَـقْـعُـهُ طُـحْـلـبُ بـحْـر الـسَّـرابْ

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 565.

(52)

وقال يصف السوسن[1]:

[الرجز]

وســوســنٍ أَحْـــوَى جَـنـى الـغَـرْسِ
يَـــذْوِي مِـــنَ الـلَّـمْـحَـةِ قَـبْـلَ الـلَّـمْس
أَوْرَاقـــــــه فـــي رقَّـــةِ الـــدِّمـــقْـسِ
تَـصْـبُـو إِلـــى تَـقـبـيـلِـهـنَّ نَـفْـسـي
لأَنـــهـــا مـــثـــلُ شـــفـــاهٍ لُـــعْـــسِ

✱✱✱✱

(53)

وقال أيضًا في صفة الجلنار[2]:

[مخلع البسيط]

وجُـــلَّـــنـــارٍ عـــلـــى غـــصُـــونٍ
وكـــلُّ غـــصْـــنٍ بـــهِـــنَّ مَـــائِـــسْ
يَـحْـكِـي الـشَـرارِيـبَ وَهْـــيَ خُـضْـرٌ
وهْـــوَ بـــأَطْـــرَافِـــهـــا كـبَـائِـسْ

✱✱✱✱

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 569.
(2) ديوان ابن سناء الملك، ص 569.

(54)

وقال في بستان[1]:

[الكامل]

يـأَيُّـهـا الْـبُـسْـتَـان إِن حَـصَّـلْـت لـي
مَـنْ صِـرْت مَـخْـمُـورًا بـكـأْسِ مُـكَاسـه
لأُجَـلِّـيـنَّـك مـن بَـهـاءِ جَـبـيـنـه
ولأَخْـلُـفَـنَّ عَـلَـيْـك مِـنْ أَنْـفـاسِـه

✱✱✱✱

(55)

وقال يصف قومًا سكارى[2]:

[الرمل]

ونَـدَامَـى فُـصَـحَـاءٍ شَـربُـوا
إِذ غَـدَتْ أَلْـسُـنـهـمْ مُـنْـخَـرسـهْ
لَـبِـسُـوا أَثْـوَابَ سُـكْـرٍ وكـرًى
وانـطَـوَوْا طَـيَّ ثـيـابٍ دَنِـسـه

✱✱✱✱

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 570.
(2) ديوان ابن سناء الملك، ص 570.

(56)

وقال مما كتب على صدر منظرةٍ له[1]:

[الطويل]

نَـعَـمْ هَـذِه دَارُ الـنَّـعيـم المُـعَـجَّـلِ
تُـذكِّـرُنـي دَارَ الـنَّـعـيـمِ المـؤجَّـل
فـأَرتَـعُ فـي الـدَّارَيـنِ فـي زَمَـنٍ معًا
بـعـيـنـي وعَـيْـنَـيْ فِـكـرتِـي وتَـخـيُّـلـي
أَلا فـاجـلَـسـا فـيـهـا سُـرورًا بـهـا ولا
(قِـفَـا نـبك مـن ذِكْـرَى حَـبـيـبٍ ومَـنـزلِ)
ولا تَـعْـبُـرا بـالـلـه بـالـقَـصْـرِ بَـعْـدَهـا
(فـمـا عِـنْـدَ رَسْـمٍ دارسٍ مِـنْ مُـعَـوَّل)
لـقـد قَـصَّـرتْ عـن شَـأوِهَـا كُـلُّ روضـةٍ
وقـصَّـر عـن أَمـلاكِـهـا كُـلُّ أَفْـضَـلِ
وأَنْـسَـى بـهـا بَـيْنَ الـوَرى ذِكْـر جَـعْـفرِ الرْ
رَشـيـدِ فـأَنَّـى جَـعْـفـرُ المُـتَـوكِّـل
يُـرى الـضَّـيْـفُ فـيـهـا وهْـوَ ضَـيْـفٌ لحـاتِمٍ
كـمـا الجـارُ فـيـهـا وهْـو جَـارُ الـسَـمَـوْءَل
سـمـاءُ نُـضَـارٍ تحـتـهـا أَرْضُ فـضَّـةٍ
يُـفـرّع مَـاءُ الـوَرْدِ فـيـهـا بَـجَـدْولِ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 571.

وفـي الـصَـدْرِ شَـاذرْوَانُـهَـا جَـفـنُ ملْعَبٍ
لـعُـفْـرِيَّـةٍ آثـــارُ طَـيْـفٍ وأَيْـطَـل
وكـم طـائـرٍ مـن رأْسِـــهِ المـــاءُ طَـائِـرٌ
عـلـى أَنَّـــهُ فـي وَكْـــرِه كـالمُـكـبَّـل
وكـم أَسَـــدٍ والمـــاءُ مـن فـيـه وَاثِـــبٌ
وإِن كَـان لَـمْ يَـنْـهَـضْ ولَـم يَتَـحَـلْـحَـل
أُعِـيـدَ مُـلُـوكُ الأَرض فـيـهـا لـيَـعْـلَـمُـوا
بـــأَنَّ الـــذي شَـــادُوهُ غَـيْـرُ مُـكَـمَّـلِ
يـقـابِـلُ كِـسْـرى قـيـصـرًا وكـلاهـمـا
يُـقَـلِّـب طَـــرْفَ الـبـاهـتِ المـتَـأَمِّـل
فـكسـرى يـرى الإِيـــوانَ كِـسْـرًا وقَـيْـصـرٌ
يـرى الـقَـصْـرَ خُـصَّ الـنـاسـكِ المتبتِّلِ
وصُـــوِّرَ فـي أَرْجَـائِـهـا كُـلُّ عـاشـقٍ
يـرى الـعِـشْـقَ فَـرضًـا فـي الـكتـابِ المـنـزَّلِ
جَـمِـيـلُ بُـثَـيْـنٍ مَـــعْ كُـثَـيِّـرِ عَـــزَّةٍ
يَـصُـوغَـانِ أَشـعـارَ الـهـوى والـتَـغَـزُّلِ
وقـد عُـرِضَـت فـيـهـا الجـنـودُ فـجـحـفَـلٌ
يمـــرُّ عـلـى آثـــارِهِ أَلـــفُ جَـحْـفَـل
كـأَنَّـهـمُ فـي يـوم عـيـدٍ فـقُـمْـصُـهـم
مـن الـوَشْـي لا قُـمص الحـديـدِ المسَـرْبَـل
وقـد أَيـنَـعَـتْ فـيـهـا الـريـاضُ فـكَـمْ بـهـا
لمـخـتـرِفٍ مـن كـل عِـــذْقٍ مُـذَلَّـلِ

وقــد بَــعُــدَتْ لـكِـنْ عـلـى كَــفِّ مُـجْـتَنٍ
وقــد قَــرُبَــتْ لـكـن إِلـــى عـــينِ مُـجْـتَـلـي
فـقـد بـــان مـنـهـا لـلـورى فَـضْـــلُ آخـــرٍ
كـمـا بـــان مـنـهـا عـنـدهـم نَـقْـضُ أَوَّلِ

✷✷✷✷

(57)

ومن شعره في وصف البحر[1]:

[الوافر]

كـــأَن الـــبَـــحْـــرَ مَـــيْـــدانٌ وفـيـه
مـــن الـــسُّـــفْـــن الَّـــتـــي تجـــري خـيـولُ
يـــطـــارد بـعـضُـهـا بـعـضًـا ولـيـست
تَـــكِـــلُّ ولا لَـــهَـــا عَـــــرَقٌ يَـسـيـلُ

****

(58)

ومن شعره في وصف سجادة[2]:

[السريع]

رأَيـــــتُ فـــي بـيـتـك سُـــجَّـــادةً
لـــم تـــقـــعِ الـــعـــينُ عـــلـــى مـثـلـهـا
غـــريـــبـــةً تـــشـــتـــاقُ أَوطـــانَـــهـــا
فـــردَّهـــا الـــلـــهُ إِلـــــى أَهـــلـــهـــا

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 572.
(2) ديوان ابن سناء الملك، ص 576.

(59)

ومن شعره يصف جربًا أصابه[1]:

[مجزوء الرجز]

لـــقـــد لـــقـــيـــتُ نَـــصَـــبَـــا
وقـــــد سُـــقـــيـــتُ وَصَـــبَـــا
بـــجـــســـدٍ لـــــي قـــــد غـــــدَا
مُـــبَـــغَّـــضًـــا مـــحـــبَّـــبـــا
الحَـــــــبُّ قـــد عَـــنَـــيْـــتُ مـــا
عـــنَـــيْـــت حُـــــــبَّ زيـــنـــبـــا
أَنْـــــبَـــــتَ لـــــي الحَـــــــبُّ بـــه
أَلـــــــفَ جَـــــرِيـــــبٍ جَـــرَبـــا
يـــــا عَـــجـــبًـــا مـــــن جَـــــرَبٍ
أَبـــــصـــــرتُ مِـــــنْـــــه عـــجـــبـــا
اجـــتـــمـــع الـــــضِّـــــدان فـــيـــ
ـــــه مِـــــقـــــةً واصْـــطَـــحَـــبَـــا
المـــــــاءُ مـــنـــه قـــــد جَـــــرى
والجَـــــمـــــرُ قـــــد تَـــلَـــهَّـــبَـــا
تجـــــري الـــقُـــيـــوحُ أَو أقـــو
لُ بَـــلـــغَ الـــسَّـــيـــلُ الـــزُّبـــى

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 562.
وللشاعر أبيات ثلاثة يفتخر بها بالجرب الذي أصابه، أوردناها في باب الفخر (ص 145).

والـــنّـــارُ تُـــذْكَـــى أَو أَرى
لـــهـــا عِـــظَـــامـــي حَـــطَـــبـــا
أَنَـــامِـــلـــي الـــسَّـــلَـــى وإِن
أَبْـــصَـــرْتُ مـــنـــه رُطَـــبـــا
قـــد خَـــتـــمـــوهـــا فـــضَّـــةً
مـــن حَـــصَـــفٍ وذهَـــبـــا
تـــرى بـــهـــا الـــيـــاقـــوتَ والـــ
ـــجـــوهـــرَ والـــمُـــخَـــشْـــلَـــبـــا
مـــن حَـــصَـــفٍ وجـــربٍ
قـــد أَلْـــهَـــبـــا وأَنـــهـــبـــا
يـــقـــول مـــن أَبـــصَـــرنـــي
ذَا الأُفْـــق قـــد تَـــكـــوْكَـــبـــا
فـــكَـــوْكَـــبٌ فـــي مَـــشْـــرِقٍ
ولـــيـــس يـــأْتـــي مَـــغْـــرِبَـــا
يُـــظـــلـــم عـــيـــشـــي كـــلَّـــمـــا
أَبْـــصَـــرْتُ فـــيـــهـــا كـــوكـــبـــا
فـــمـــا رأَيْـــتُ حـــيَّـــةً
إِلاَّ رَأَيْـــتُ عَـــقْـــرِبَـــا
أُنْـــخَـــسُ بـــالـــشَّـــوكِ وقـــد
أُطـــعَـــنُ فـــيـــهـــا بـــالـــشَّـــبـــا
أَكـــتـــم كَـــفَّـــيَّ عـــن الـــنّـــ
ـــنَـــاسِ حَـــيـــاءً وإِبَـــا
مـــا لاح إِلاَّ واخْـــتَـــفـــى
كَـــفِّـــيَ عـــنـــهـــمْ واخْـــتَـــبـــا

مـــن الـــهـــوانِ عـــاد كَـــفْـــ
ـــفِـــي مَـــلَـــكًـــا مُـــحَـــجَّـــبَـــا
تـــطـــرِّزُ الـــقـــيـــوحُ والـــدْ
دِمـــــاءُ ثَـــوبِـــي والـــقَـــبَـــا
أَلْـــبَـــسُ ثَـــوْبًـــا ســـاذجًـــا
ثـــم أَراه مُـــذْهَـــبَـــا
مـــن جُـــمـــلـــةِ الجِـــمـــال صـــرْ
تُ حـــين صِـــــرْتُ أَجْـــرَبَـــا
وأَصـــبـــح الـــقـــطْـــرانُ والـــ
ـــكِـــبْـــريـــتُ مِـــسْـــكـــيْ والـــكِـــبَـــا
يـــا جَـــرَبًـــا إِن لـــم أَقـــل
مـــن جَـــربِـــي واجَـــرَبَـــا
أَصـــبـــحـــتُ ذَا الـــقـــروحِ لا
شِـــعـــرًا ولـــكـــن كَـــرَبَـــا
ممـــــــزَّقَ الجِـــلـــدِ مُـــرا
قَ الـــــدَّمِ مـــهـــجـــورَ الخِـــبَـــا
فـــكـــلُّ مـــن يـــألْـــفُـــنـــي
قـــد صـــار لـــي مُـــجْـــتَـــنِـــبَـــا
وكـــلُّـــهـــم خَـــوفًـــا مـــن الـــ
ـــعَـــدْوى يَـــفِـــرُّ هَـــرَبَـــا
يُـــعـــدي الـــوَرى الأَجـــربُ حـتْـ
ـــتَـــى ثـــوبُـــه كـــالـــثُّـــؤَبَـــا
يـــا مَـــرضًـــا صِـــــرتُ بـه
فـــي مـــنـــزلـــي مُـــغْـــتَـــرِبَـــا

ودونَ أَهْـــلِـــي مُـــفْـــردًا
وعـــنـــدهـــم مُـــذَبْـــذَبَـــا
أُرْمَـــــى وكَـــنْـــتُ أُصْـــطَـــفَـــى
أُقْـــلَـــى وكُـــنْـــتُ أُجْـــتَـــبـــى
والـــــرأْسُ كـــنْـــتُ ثَـــمَّ صـــرْ
تُ مـــن ذُنُـــوبِـــي ذَنَـــبَـــا
غَـــضِـــبْـــتُ مـــن حَـــالـــي وحَـــقْـــ
ـــقِـــي أَنْ أَمـــــوتَ غـــضَـــبـــا
لا مـــرحـــبًـــا بـــالـــعـــيـــشِ بـــل
بـــالمـــوتِ أَلْـــــفَ مـــرْحَـــبَـــا
مـــــرَّتْ حَـــيـــاتـــي فـــوجَـــدْ
تُ المَـــــوْتَ حُـــلْـــوًا طَـــيِّـــبـــا
فـــمـــا أَلَـــــذُّ مَـــطْـــعَـــمًـــا
ولا أُسِـــيـــغُ مَـــشْـــرَبَـــا
لا عِـــشْـــتُ إِن كـــنْـــتُ أَعـــيـــ
ـــش هَـــكَـــذَا مُـــعـــذَّبَـــا
قُـــوتـــي حـــيـــاتـــي وكـــذا
ســـلامـــتـــي أن أُعـــطـــبَـــا
أُفٍّ لـــدنـــيـــا لا يـــزَا
لُ المـــرُء فـــيـــهـــا مُـــتْـــعَـــبَـــا
تَجْـــــرِي المـــقـــاديـــرُ بمـــا
يـــكـــره شـــاءَ أَوْ أَبَـــى

هـــــنَّ الـــسَّـــقـــامُ والـــعَـــنـــا
ءُ والـــشَّـــقـــاءُ والـــوَبَـــا
وَبـــيْـــنَـــمـــا يَـــكُـــونُ كـــالـــطْ
ـــطَـــوْدِ يَـــعـــودُ كـــالـــهَـــبـــا
وكـــــم يـــلاقـــي مَـــهْـــلَـــكًـــا
إذا أَراد مَـــطْـــلـــبـــا
والحـــــــقُّ مـــــا أَقـــــــولُ مـــا
أَقـــــــولُ قَـــــطُّ الـــكـــذِبَـــا
كُـــــنْ بـــشَـــرًا أَو مَـــلِـــكًـــا
أَو مَـــلَـــكًـــا مُـــقَـــرَّبـــا
مـــا دُمْـــــتَ مـــوجـــودًا فـــمـــا
تَـــنْـــفَـــكُّ تَـــلْـــقَـــى الـــتَّـــعَـــبـــا

****

باب الخمريات

(60)

ومن شعره في الخمر[1]:

[المنسرح]

أَيـــن كـــؤوسِـــي وأَيـــن أَكـــوَابـــي
فَـــهِـــي وحـــقِّ المـــجـــونِ أَوْلَـــى بـي
حَـــيّـــوا بـــهـــا المُـــــدام مُـتـئِـمَـةً
فـــكُـــلُّ كـــأْسٍ كَـــكَـــفِّ وَهَّـــــابِ
تـــلـــكَ الـــتـــي لا تـــــزالُ جـامـعـةً
شـمـلَ حَـبـابٍ وشَـــمْـــلَ أَحْـبَـابِ
يَـبْـدُو عـلـيـهـا الحَـبـابُ إِن مُـزِجَـتْ
مِـــثْـــلَ عُـــيـــونٍ بـغـيـرِ أَهْـــــدَاب
مُـعـتـادةٌ شُـــــرْبَ هـــمِّ شَـارِبِـهـا
فـــهـــي شـــــرابٌ وأَيُّ إِشْـــــرَابِ
تـــأْتِـــي ويـــأْتِـــي الـــسـرورُ يَـتْـبَـعُـهـا
كـــأَنَّـــهُ واقِـــــفٌ عَـــلـــى الـــبَـــابِ
تمـــوجُ فـــي الـــكـــأْسِ وَهْـــيَ فـاتِـنـةٌ
كـأَنمـا الـــكـــأْسُ طَـــــرْفُ مُـــرْتَـــابِ
أَســـجُـــدُ شُـــكْـــرًا لـهـا إِذا طَـلَـعَـتْ
كـــــأَنَّ كـــأْسِـــي لَـــــدَيَّ مـحْـرابـي

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 566.

يُـديـرهـا شـادنٌ يَـطُـولُ بـه

عُـمْـرُ سـرورِي وعُـمْـرُ إِطْـرابِـي

تـسـتـرِقُ الـرّاحُ مـن خـصـائِـلـه

تَـرْكَ جُـسـومٍ بِـغَـيْـرِ أَلْـبَـابِ

تـلـتـفُّ عـنـد الـعـنـاقِ قـامـتُـه

مـن لِـيـنِـهـا كـالْـتـفَـافِ لَـبْـلاَبِ

****

(61)

وقال أيضًا في الخمريات[1]:

[الكامل]

الـكـأْسُ لـم تُـذْنِـبْ فـكَـيْـف حَـبسْـتَـهـا
أَوحـشْـتَـهـا مـن طُـولِ مـا آنَـسْـتَـهـا
لا بـل هَـمَـمْـتَ بـشُـربـهـا ورأَيـتَـهَـا
أَلـقـت عـلـيـك شُـعـاعَـهـا فـلَـبِـسْـتَـهـا
كـم ذَا الـوقـوفُ بـهـا لَـقَـدْ أَتـعـبتَـنـي
مِمّـا وَقَـفْـتَ بِـهـا كـمـا أَتْـعَـبـتَـهـا
فَـتَـوقَّ حِـلـمَ الـنـارِ واحْـذرْ كَـيْـدَهُ
فـلـقـد لَـمَـسْـتَ الـنـارَ حِـيـنَ لَـمَـسْـتَـهـا
وشِـمِ الـسـرورَ بِـشُـرْبـهـا لا شِـمْـتَـه
وذُقِ الحـيـاةَ بـطَـعْـمِـهـا لاَ ذُقْـتَـهَـا
واكـفُـفْ دُخـانَ الـنَّـدِّ عـن أَنـفـاسِـهـا
فـبـنَـشْـره المِـسْـكـيِّ قـد دنَّـسْـتَـهـا
عـجِّـلْ بـسـرِّك والـقِـهـا فـي مَـسْـمَـعـي
مـاذا يَـضُـرُّكَ يـا أَخـي لـوْ قـلْـتَـهـا

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 567.

كتب القاضي الفاضل عن هذه المقطوعة إلى ابنه القاضي الرشيد: «وأما التائية المفتوحة الخمرية، فقد ثملت منها سكرا، دخلت بخاطري على عروس كل بيت فوجدته بكرا، ونسخت عند خمريته الأولى وإن كانت طائلة فلها اليد الطولى..»، والخمرية الأولى التي أشار أولها:

عمموها طينا وآدم طين شيخة في حشا الزمان جنين

وصِـــلِ الـعـجـوزَ تَـعُـدْ صـبـيًّـا نـاشِـئًـا
فـلـقـد نَـظـرْتَ صِـبَـاكَ حِـــينَ نـظرتَـهـا
لا تحـسـبِ الـشـمـسَ المـنـيـرَةَ أُخـتَـهـا
فـي عُـمْـرِهـا مـا الـشـمـسُ إلا بـنْـتـهـا
سـبـقَ الـــزَمـــانَ وجـــودُهـــا بـــوجُـــودِه
لا تحـسـبـنَّـك يـا زمـــــانُ سَـبَـقْـتَـهـا
ومـــن الـعـجـائـبِ أَنَّـــــه لا مُـبْـتَـدا
لـزَمـانِـهـا ولَـــهُ بِـشُـــرْبِـك مُـنْـتَـهـى

✱✱✱✱

(62)

وقال في الخمر أيضًا[1]:

[مجزوء الوافر]

أَحَـــــــلَّ الخـــمـــرَ بُـــعـــدُكُـــمُ
ســـــأَشْـــــرَبُ غَـــيْـــرَ مُـــكْـــتَـــرِثِ
فـــنَـــارُ الـــقَـــلْـــبِ بَـــعْـــدَكُـــمُ
تُـــصـــيِّـــرهُ عـــلـــى الـــثُـــلُـــثِ

****

(63)

وقال في الخمر أيضًا[2]:

[الطويل]

أَلا إِنَّ شُـــرّابَ الْمُـــدَامِ هُـــمُ الـنَّـاسُ
وغـيـرهُـمُ فـيـهـم جُـنُـونٌ وَوَسْـــوَاسُ
فـيـا لَـيْـتَ أَنِّـي مِـثْـلُ كِـسْـرَى مُـصـوَّرًا
فـلَـيْـسَ يَـزَالُ الـدَّهْـرَ فـي يَـدِهِ كَـاسُ

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 568.
(2) ديوان ابن سناء الملك، ص 568.

(64)

وقال في الخمر أيضًا[1]:

[الطويل]

عَـرُوسُـكُـمُ يـأَيُّـهـا الـشَّـرْبُ طَـالِـقٌ
وإِنَ فَـتَـنَـتْ مـن حُـسْـنِـهـا كُـلَّ مُـجْـتَـلـي
دَفـعْـتُ لـهـا عَـقْـلـي ومَـالـي مُـعـجَّـلاً
فَـقَـالَـتْ وجـنَّـاتُ الـنَـعـيـم مـؤَجَّـلـي

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 573.

(65)

وقال في الحكم بن فُوَقَا وقد تاب من النَّبيذ[1]:

[الطويل]

سمعت بأَمرٍ ليتني لا سَمعْتُه
فعندِيَ منه مُقعِدٌ ومُقِيمُ
بأَنَّ الحَكيمَ الآنَ قَدْ تَرَكَ الطِّلاَ
وتابَ فَقُلْنا مَا الحكيمُ حَكيمُ
أَتُتركُ شَمْسُ الرَّاحِ وَهْيَ منيرةٌ
ويُتركُ وجْهُ البدر وهْوَ وَسيمُ
وما كُنْتُ أَخْشَى أَن يتوبَ لظَرْفِه
كمَا لسْتُ أَخشى أَنَّهُ سَيصُومُ
وكَمْ مِنْ يدٍ عند الحكيم لِكَأسِه
غَدَتْ وَلَها حَقٌّ عَلَيْهِ عَظِيمُ
أَنامَتْ له مَن لا يَنامُ وربَّما
أَقامَتْ له ما لاَ يَكَادُ يَقُومُ
وذلكَ إِنْعامٌ قَضى بنعيمِهِ
ومَن جَحَد الإِنعامَ فَهْوَ لَئِيمُ
وإِن قالَ إِنِّي قد سَقمتُ بِشُرْبِهَا
فقد يعشَقُونَ الجَفْنَ وهْوَ سَقيم

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 573.

وإن قـــالَ إنِّـــي قـد سَـلِـمْـتُ فـإنَّـه
كـمـا قـيـل قِـــدْمًـــا لـلَّـدِيـغ سَـلِـيـمُ
عـلـى الـكـوبِ مـن بَـعْـدِ الحـكـيـم كـآبَـةٌ
وفـي الجـام مِـنْ بـعـدِ الحَـكـيـمِ وُجُـومُ
ومـــن بـــعـــدهِ زَوْجُ الخـــلاعـــةِ طـالِـقٌ
ومـــن بـــعـــدِه أُمُّ الـــســـرورِ عَـقِـيـمُ
وعـــادت كـــؤوسُ الـــرَّاح وهـــي سَـمَـائِـمٌ
لَـديْـنـا وأَنـــفـــاسُ المُـــــدامِ سُـمُـومُ
وطـمَّـنـنـي إبـلـيـسُ حـين عَـتِـبْـتُـه
بـــأَنْ قـــال هَـــذا الأَمـــرُ لَـيْـسَ يَـدُومُ
فـــإنْ تَـسْـأَلُـونـي بـالحـكـيـم فـإنَّـنـي
خَـبـيـرٌ بـــــأَدْواءِ الحـكـيـمِ عَـلِـيـمُ
إذا مـا خَـبـا وهْـــجُ المَـصـيـفِ فـإنَّـنـي
بـتـحـلـيـلِ نـامـوسِ الحـكـيـمِ زَعـيـمُ
عـلـى أَنَّـــهُ إن كـان قـد تـابَ مُـخْـلِـصًـا
وخـــاف عـقـابَ الـلـهِ وَهْـــوَ رَحِـيـم
فـتـوبـتُـه مـــن ســـوءِ ظـــنٍّ بـربِّـه
تَـعـالـــى وإلاَّ فـالـكـريمُ كَـــرِيمُ

****

(66)

وقال في الخمر أيضًا[1]:

[الطويل]

وصـهـبـاءَ رقَّـــتْ فـاسـتـرقَّـتْ عُـقُـولَـنـا
عَـلَـى أَنَّـهـا قـد أَعْـتَـقَـتْـنَـا مِـــنَ الـهـمِّ
إِذا مُـزِجَـت كَـــانَ المـــزَاجُ فِـــدىً لـها
ولـو أَن ذاك المـزْجَ أَخْـفَـى مِـنَ الـوَهْـمِ

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 574.

(67)

ومن شعره في الخمر[1]:

[الخفيف]

عـمَّـمُـوهـا طِـيـنًـا وآدَمُ طِـيْـنُ
شـيـخـةٌ فـي حَـشـا الـزَمـان جَـنِـيْنُ
قـبـلَ أَن تُـغْـرَسَ الـكـرومُ وتَـلْـتَـفْ
ـفَ عـلـيـهـا الأَوراقُ والـزَّرَجُـون
قـبـل أَن يُـخْـلـقَ الـظـلامُ ولا الـنُّـو
رُ ولـم يُـعْـرفِ الـدُّجـى والـدُّجـوُن
وثُـرَيَّـا الـسـمـاءِ مـا هـي عُـنْـقُـو
دٌ ولا آيـةُ الـدُّجـى عُـرْجُـونُ
شَـيْـخَـةٌ لـم تَـشِـبْ قـرونًـا إِلـى أَن
هـلـكـتْ أُمَّـةٌ وبَـادتْ قُـرُونُ
فـهـي سِـرٌّ فـي خـاطِـر الـدَّهـر مكتو
مٌ وعِـلْـمٌ فـي صـدرِهِ مَـكْـنُـون
تُـبـصِـر الـهـمَّ فـي الأَقـاصِـي فتنْفِيـ
ـهِ ولا غـرْوَ فـالحَـبَـابُ عُـيُـون

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 575.

كُـــلُّ هَـــمٍّ إِذا جَـلـوْهـا عـلـيـه
وهْـــــيَ بِـــكـــرٌ فـــإِنَّـــه عِـنِّـين
إِنَّ مَـــنْ لام فـي المُـــدامِ وإِن عـزْ
ـــزَ مَـــهِـــيٌن ولا يَـــكـــادُ يَـبِـينُ
هِـــي إِلاَّ الحـيـاةُ والـــرُّوحُ والـــرَّا
حَـــةُ والـلَّـــهْـوُ والـصِّـبـا والمـجـونُ
لـيس فـيـهـا إِذا رَجَـعْـنـا إِلـى الحـقْـ
ـــقِ عُـــــدُولٌ ولا عَـلـيـهـا أَمِـــيُن
والـــذي قـد يَـلُـومُ إِمَّـــا ضـنِـيٌّن
مُـسْـتـبِـدٌّ بـهـا وإِمَّـــا ظـنِـيُن
مَـــنْ رَأَى كَـأْسَـهـا فـقـد فَـتَـنَـتْـهُ
إِنَّـــكُـــمْ كُـلُّـكُـم بـهـا المـفْـتُـونُ
لـم يَـدعْ شُـرْبَـهـا الأَمِـــيُن وإِن كا
نَ إِمَـــامَ الـهُـدَى ولا المـأْمُـونُ
وبـهـا كَـــانَ يـسـتـعـيُن عـلـى الأَحْـ
ـــزانِ مـن بـعـد خَـلْـعِـه المُـسـتَـعِـيُن
واشْـتَـرُوهَـا بـكـل مـا عـزَّ أَو هَـا
نَ فـــإِنَّ الـعـزيـزَ فـيـهَـا يَـهُـونُ
واطْـلِـقُـوهـا إِن الـزمـانَ حَـبُـوسٌ
واخْـرجُـوهـا إِنَّ الـدِّنَـانَ سُـجُـونُ

إِنَّمـــا الـــدَّنُّ سِـجْـنُـهـا فِـلـهَـذا
ضَـحِـكَـتْ إِذْ رَأَتْـــه وهْـــوَ ظَـعِـيـنُ
إِنَّ فَـــقْـــرِي عـلـى المُـــدامِ ثَـــرَاءٌ
أَو يَـسَـارِي والـكـأْسُ فِـيـهَـا يَمِـيـنُ
تـلـك نِـعْـمَ المُـعِـيـنُ إِن قَـــارَن الـهَـمْـ
ـــمُ فـــؤادِي والـهـمُّ بْـئْـسَ الـقَـرِيـنُ
وإِذا مـا رَجَّـــتْ لـيـالـيَّ أَحْـــوَا
لـي جَـلاَهـا مِـنْـه صَـبـاحٌ مَـبـيـنُ
فـبـهـا أَسـتـريـحُ مـن جِـرْفـةِ الـعَـقْـ
ـــلِ فـــإِن الحِـــرافَ مِـنْـه يَـكُـونُ
واتْـــرُكِ الـعـقـلَ جـانِـبًـا تُـــدْرِكِ الحـظْـ
ـــظَ يـقـيـنًـا مـا الحـــظُّ إِلاَّ الجُـنُـونُ
كُـلُّ مَـنْ أَبـصـرتْـه عَـيْـنَـاكَ فـي الخَـلْـ
ـــقِ سـعـيـدًا فـــإِنَّـــه مَـجْـنُـونُ

****

باب الإخوانيات

(68)

من شعره متشوقًا وهو في مدينة حماة[1]:

[الكامل]

مَـــنْ لـلـغـريـب هَـفَـتْ بِـــهِ الـفِـكَـرُ
لاَ الـعَـيْـــنُ تُـؤْنِـســهُ وَلاَ الأَثَـــرُ
لا تُـلْـتَـقـى أَجـفـانُـه سَـــهَـرًا
فـكـــأَنَّمـــا أَهـــدابُـــهُ إِبَـــرُ
مـــن طـــول مـــا يُـــرمـــى بصحبتها
يـبـكـي الـبـكـاءُ ويـسـهـرُ الـسـهـرُ
يـا طُـــولَ لَـيْـلـي لاَ صَـبَـاحَ لَـهُ
سَـحَـرُوا الـظَّـلامَ فَـمَـا لَـهُ سَـحَـرُ
ولـقـد تجـلَّـى عَـــنْ مَـنَـازِلِـه
طَـيـفٌ لِـطُـولِ سُـــرَاه مُـنْـبَـهِـرُ
يـــأْتـــي إِلـــيَّ لِـنَـقْـع غُـلَّـتـه
فَـيَـــردُّه مِـــنَ مَـدْمَـعِـي نَـهَـرُ
وعَـهِـدْتُ قَـلْـبـي جِـسْـرَ مَـعْـبَـرِهِ
لـكـنَّ ذَاكَ الجِـسْـرَ مُـنْـكَـسِـرُ
قـد نِمْـتُ لـكـن فـي كَـرَى ولَـهِـي
خُـيِّـلْـتُ أَنَّ خـيـالـه الـقَـمَـرُ

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 578.

يـا دَهْـــرُ يَـا مَـــنْ لا حُـنُـوَّ لَـهُ
أَوَ مَـا عَـلِـمـتَ بِـأَنَّـنـي بَـشَـرُ
لـو كُـنْـتَ تَـنْـطِـقُ قُـلْـتَ لُـمْ بَـطَـرًا
فَـجَـمِـيـعُ مَـا بِـكَ أَصْـلُـه الـبَـطَـرُ
تـأْتـي حَـمَـاةَ وتَـشْـتـكـي كَـدَرًا
أَوَ مَـا عَـلِـمْـتَ بِـأَنَّـهـا كَـدَرُ
وبَـقِـيـتَ لاَ أَهـلٌ ولاَ ولَـدٌ
فِـيـهـا ولا وَطَـنٌ ولا وَطَـرُ
صـهْ يـا زمـانُ فـإِنَّـنـي رَجُـلٌ
لَـيْـسَـتْ تُـغَـيِّـرُ صَـبْـرَهُ الـغِـيـرَ
مـاءُ الـبَـشَـاشَـةِ مِـلْءُ صَـفـحـتِـه
والـقَـلْـبُ فـيـه الـنَّـار تَـسْـتَـعـر
ولـربَّمـا هَـطَـلَـتْ مَـدَامِـعُـه
ومُـرادُه أَن يَـغْـرَق الْحَـوَرُ
والخـدُّ مَـيْـدَانٌ صَـوَالِجُـهُ
هُـدْبٌ لَـهَـا مِـنْ دَمْـعِـه أُكَـرُ
والـنَّـبْـع قـالـوا مَـا لَـهُ ثَـمَـرٌ
أَمَّـا أَنـا فـالـدَّمْـعُ لـي ثـمَـرُ
ولأَرْكَـبنَّ الـصَّـعْـبَ غُـرَّتُـه
غَـرَرٌ وخَـطْـرَةُ عِـطْـفِـه خَـطَـرُ
إِمَّـا وإِمَّـا وَهْـيَ وَاحِـدَةٌ
فِـيـهَـا مُـرَادُ الـنَّـفْـس يَـنْـتَـظِـرُ
ريـحَ الجَـنُـوبِ أَراكِ مُـدْنَـفَـةً
هَـلْ شَـفَّ جِـسْـمَـكِ مِـثْـلـيَ الـسَّـفَـرُ

وأَراكِ طـيِّـبـةً مُـعَـطَّـرةً
هَـلْ فـيـكِ مِـنْ أَحْـبَـابِـنَـا خَـبَـرُ
تـلـك الأَحـبَّـةُ رَوْضُ ودِّهِـمُ
خَـضِـلٌ وغـمـرُ صَـفَـائِـهـم خَـضِـرُ
قـد أَعْـجَـزَتْ أَخْـبَـارُ سُـؤدُدِهـم
لـولا لَـقُـلْـنَـا إِنَّـهـا سُـوَرُ
فـارقْـتُـهـم فَـتَـمَـايَـلُـوا أَسَـفًـا
حَـتَّـى ظـنـنَّـا أَنَّـهـم سَـكِـرُوا
فـكـأَنَّـهـم لـدِمُـوعِـهـم شَـرِبُـوا
وكـأَنَّـهـم بِـأَنِـيـنِـهِـمْ نَـعـرُوا
كَـمْ فِـيـهـمُ مَـنْ غَـضَّ نَـاظِـرَه
لَّـا خَـلاَ مِـنْ شَـخْـصِـيَ الْـبَـصَـرُ
وَيَـظُـنُّ ظـنًّـا أَنَّ مُـقْـلَـتَـهُ
لَـوْلاَي لَـمْ يُـخْـلَـقْ لـهَـا نَـظَـرُ
يَـا وَيْـحَ طَـرْفٍ بَـعْـدَ فُـرْقَـتِـهـم
مـرَّت بِـهِ الـعَـبَـرَاتُ والـعِـبَـرُ
صَـدَقَ الَّـذِي قَـالـتْ بَـلاَغَـتُـه
لَـمْ يَـجْـرِ دَمْـعٌ بَـلْ جَـرَى قَـدَرُ
كَـمْ كَـنْـتُ أَحْـذَرُ مِـن فِـرَاقِـهـمُ
وإِذَا وَهَـى قَـدَرٌ فَـلاَ حَـذَرُ
لَـهْـفِـي عَـلَـى عَـيْـشٍ بِـنِـعْـمَـتِـه
كَـانَـتْ ذُنُـوبُ الـدَّهـرِ تُـغْـتَـفَـرُ

وَمَـــــنَـــــازِلٍ بِـــالـــلَّـــهـــو آهِـــلَـــةٍ
تُـــزْهَـــى بِـــهَـــا الآصَـــــالُ والـــبُـــكَـــرُ
ومـــــنـــــارةٍ مـــن حُـــسْـــن حُـــلَّـــتِـــهـــا
يُـــنْـــشـــى الحـــبُـــورُ ويُـــنْـــشَـــر الخَـــبَـــرُ
وأَحـــــبَّـــــةٍ سُـــــمْـــــرٍ شُـــعُـــورُهُـــمُ
لَـــيْـــلٌ فَـــصَـــوتُ حُـــلـــيِّـــهـــم سَـــمَـــرُ
شـــعـــرٌ كَـــلَـــيْـــلَـــةِ وَصْـــــلِ صَـــاحِـــبـــه
حُـــسْـــنًـــا ولَـــكِـــن مَـــا بِـــــه قِـــصَـــرُ
تـــلـــك الـــغُـــصُـــونُ شُـــعُـــورُهَـــا وَرَقٌ
مـــتـــكـــلِّـــلٌ وعـــقـــودُهَـــــا زَهَـــــرُ
تحـــت الـــنـــهُـــودِ كـــأَنَّـــهـــا بِـــــدَرٌ
سُـــــرُرٌ تُـــفَـــرَّغُ فِـــيـــهِـــمُ صُـــــرَر
آهًـــــا لِـــثَـــغْـــرٍ لـــوْ ظَـــفِـــرْتُ بِـــه
وكـــذا الـــثُّـــغُـــورُ يُـــرَى بِـــهَـــا الـــظَّـــفَـــر
مِـــنْ شَـــــادِنٍ طَـــرْفِـــي لِـــفُـــرقَـــتِـــه
زَنْـــــدٌ وجَـــمْـــرُ مَـــدامـــعـــي شَـــــرَرُ
مُـــتـــبـــرِّجٌ فـــي وَجْـــهِـــهِ الخَـــفَـــرُ
مـــتَـــحـــيِّـــرٌ فـــي طَـــرْفِـــه الحَـــــوَرُ
لـــو لـــم يـــكـــن فـــي الجَـــفْـــنِ عَـــسْـــكَـــرُه
مَـــا قِـــيـــلَ إِن الجَـــفْـــنَ يَـــنْـــكَـــسِـــرُ
حـــفَّـــتْ بَـــــــــوَادِرَه قَـــــلائِـــــدُه
ويـــــلاه ذا خَـــصَـــــرٌ وذا خَـــصِـــرُ

لـــم أُحـــــصِ كـــم عـــانَـــقْـــتُ قـــامَـــتَـــهُ
فـــتـــكـــسَّـــرتْ مِـــــنْ ضـــمِّـــه الـــــدُّرَرُ
أَصَـــــبَـــــرْتَ حـــتـــى يَـــــوْمَ فُـــرْقَـــتِـــه
يَـــا قَـــلْـــبُ والـــتَّـــحـــقـــيـــق يـــا حَـــجَـــرُ
ومُـــــقَـــــرْطَـــــنٌ طَـــرْفـــي لِـــفُـــرقَـــتِـــه
زَنْـــــدٌ وحُـــمْـــرُ مَـــدَامِـــعِـــي شَـــــرَرُ

✶✶✶✶

(69)

وقال يتشوق إلى أهله، وأوطانه عند وصوله إلى مدينة بصرى الشام[1]:

[الطويل]

أَيـا بَـصَـري لا تـنـظـرَنَّ إِلـى بُـصْـرَى
فـإِنِّـي أَرَى الأَحْـبَـابَ فـي بَـلْـدَةٍ أُخْـرَى
وَمَـا بَـلْـدَةٌ لـم يَـسْـكُـنُـوهَـا ببـلـدةٍ
ولـو أَنـهـا بَـيْنَ السِّماكَيْنِ[2] والـشِّـعْـرَى
ومـا الـقـفْـرُ بـالـبـيـداءِ قَـفْـرًا وإِنَّمـا
أَرَى كُـلَّ دَارٍ لـم يُـكـونـوا بِـهـا قَـفْـرا
تـذكَّـرْتُ أَحْـبَـابـي وإِنّـي لَـمُـؤْمِـنٌ
ولـكِـن أَرَانـي لَـيْـسَ تَـنْـفَـعُـنـي الـذِّكْـرَى
وهَـلْ مِـحْـنَـتِـي صُـغْـرى لأَجـل فِـراقِـهـم
وقـد أَبْـصَـرتـه يَـبْـطِـشُ الـبَـطْـشَـةَ الـكُـبْـرَى

(1) لعله أعد هذه القصيدة حين وصل إلى بصرى في سفرته إلى دمشق ليكون بين موظفي القاضي الفاضل.

(2) السماكان: كوكبان نيران أحدهما في جهة الشمال أمامه كوكب صغير يقال له راية السماك ورمحه، ولذلك يقال له السماك الرامح، والآخر في جهة الجنوب ليس أمامه شيء، ولذلك يقال له السماك الأعزل أي الذي لا سلاح معه. الشعرى: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدة الحر، ويقال له الشعرى اليمانية، وكوكب آخر يطلع في الذراع ويقال الشعرى الشامية ومن أساطير العرب أن سهيلاً أقبل من ناحية اليمن وأقبلت الشعريان من جهة الشام حتى انتهى المسير إلى المجرة فوقف كل من الفريقين على شاطئ المجرة، وخطبهما سهيل فأجابتاه إلى الزواج وعبرت إليه اليمانية منهما فقيل لها الشعرى العبور ولم تقدر الشامية أن تعبر فوقفت تبكي حتى لم تقدر أن تفتح عينيها من كثرة البكاء فقيل لها الشعرى الغميصاء وجرى ذلك عندهم لقبًا لها. (ديوان ابن سناء الملك، ص 581).

لـقـد أَضْـرنــي الـبَـيْنُ المُـشِـتُّ وضـرَّنـي
فَـيَـالَـكَ بَـيْـنًـا مـا أَضــرَّ ومـا أَضْــرَى
أَأَهــبِـطُ مِــنْ مـصـرٍ وقِـدْمًـا قـدِ اشتـهى
عَـلَـى الـلـهِ أَقــوامٌ فـقـال اهْـبِـطُـوا مِـصْـرَا
فـكـم لــي بِــهَــا دِيــنَــارَ وجْــهٍ تـركـتُـه
وَرَائــي فَـعَـيْـنـي بَـعْـدَه تشتكي الـفَـقْـرَا
فَــوالــلــهِ مـا أَشْــــرِي الــشــاَمَ ومُـلْـكَـه
وغُـوطَـتَـه الـخَـضْـرَا بِـشِـبْـريـنِ مِـنْ شَـبرا
فــإِن عُــدتُ والأَيَّــــامُ عُــوجٌ رَوَاجــعُ
لـقـد أَنـشـأَتـنـي قَـبْـلَـهـا الـنَّـشْـأَةَ الأُخـرى

✱✱✱✱

(71)

ومما كتبه بالذهب في صدر مجلس منظرته المطلة على النيل المبارك[1]:

[السريع]

انـظـرْ إِلـــى المـــنْـــظَـــرَةِ الـــنَّـــاضِـــرَهْ
تـــزهـــو كـمـثـل الـــزَّهـــرةِ الـــزَّاهِـــرهْ
أَحْـسَـــنُ مَـا فـي حُـسْـنِـهـا أَنَّـهـا الـدْ
دُنْـــيَـــا ومَـــا أَلْـــهَـــت عَـــنِ الآخـــره

****

(72)

وقال أيضًا[2]:

[مخلع البسيط]

أُعـــيـــذُهـــا أَلـــــفَ أَلـــــفِ مَـــرَّهْ
لأَنـــهـــا أَلْـــــفُ أَلْـــــفِ دُرَّه
لأَنـــنـــي أَرْتَجِـــــــي عَـلَـيْـهـا
مـــنَ مَـالِـكِـي أَلْـــفَ أَلْـــفِ بَـــدْره
وإِنَّ ذَا عِـــــنْـــــدَه قَـلِـيـلٌ
وفـــــي نـــــدى كـــفِّـــه كَـــــذَرَّه

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 586.
(2) ديوان ابن سناء الملك، ص 586.

(73)

وقال في صاحب له[1]:

[الكامل]

لـي صـاحـبٌ أَضـحـى لـــودِّي مُـحْـرزَا
ولـكـلِّ مَـــن يـهـواه قَـلْـبـي مُـنْـجِـزا
لَّـــا رأَى بـــرِّي لـــه مُـتَـــوَاصـــلاً
ورأَى قَـضَـــاءَ الحَـــقِّ عَـنْـهُ مُـعْـوزَا
أَهـــدى إِلـــيَّ مَـثُـوبَـةً مـن أَخـــذِه
عِـرْضـي جـزاه الـلـه عَـنْ هَـذَا الجَـزَا

✱✱✱✱

(74)

وقال أيضًا وكتب به إلى مريض[2]:

[المتقارب]

شـفـاؤُك يـأْتـي فـيشـفـي الـنُّـفُـوسَـا
ويُـطـلِـق وجـهَ الـزَّمَـان الـعَـبُـوسَـا
عـسـى الـلـه يـرحـم تِـلْـكَ الـعـجـوزَ
وَيُـهْـدِي لِمُـوسَـى مُـــدَاواةَ عِـيسَـى

✱✱✱✱

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 590.
(2) ديوان ابن سناء الملك، ص 592.

(75)

وقال يوم مسيره إلى الشام[1]:

[السريع]

لَّـا دعـا فـي الـرّكـب داعـي الـفِـرَاقْ
لـبّـاه مـاءُ الـدَّمْـعِ مـن كُـل مـاقْ
يـا دمـعُ لـم تَـدْعُ سِـوَى مُـهْـجَـتـي
فَـلِـمْ تَـطَـفَّـلْـتَ بَـهَـذَا السباق
وإِن تـكـن خِـفْـتَ لَـظَـى زَفْـرَتِـي
فـأَنْـتَ مـعـذورٌ بِـهـذَا الإِبَـاق
وإِن تـكـن أَسْـرَعْـتَ مِـن أَنَّـةٍ
إِنَّ لَـهـا مـن أَنَّـتـي أَلـف رَاق
مـهـلاً فـمـا أَنـت كَـدَمْـعٍ جَـرَى
وَرَاقَ بـل أَنـتَ دِمَـاءٌ تُـراق
فـقـمـتُ والأَجـفـانُ فـي عَـبْـرَةٍ
والـدمـعُ مـن مَـسْـأَلـتـي فـي شِـقَـاق
أَسـقِـي بمُـزنِ الحُـزْنِ روضَ اللِّوى
يـا قُـربَ مـا أَثـمَـرَ لـي بِـالـفِـراق
وأُسْـلِـفُ الـتـوديـعَ سـكـري لـكـيْ
يُـخـدعَ قـلـبـي بِـتَـلاقـي الـتَّـرَاق

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 592.

ومـــا عِـــنَـــاقُ المـــرْء محـبـوبَـه
إلاَّ لـكـي يـلـتَـفَّ سَـــاقٌ بِـسَـاق
لـلـه ذاك الـيـــومُ كـم مُـقْـلَـةٍ
غَـرْقـى وقَـلْـبٍ بـالجَـوَى ذي احـتـراق
ومـعـشـرٍ لاقـــوا وجُـــوهَ الـنَّـوى
وهْـــي صِـفـاقٌ بِـقُـلُـوبٍ رِقَـــاق
ووالـــــدٍ بَـــل سَـــيِّـــدٍ والـــهِ
سَـقَـاه تـوديـعـيَ كـأسًـا دِهَـــاق
يـقـول لـي أَتـعـبـتَ قَـلْـبـي فـلا
لَـقِـيـتَ مِـنْ بَـعْـدِيَ مـا الـقـلْـبُ لاَق
قـلـتُ لـه والحـــقُّ مـا قُـلـتُـهُ
والـصـدقُ مـا زالَ لـنُـطـقِـي نِـطـاق
أَيـقـنـتُ أَن آنَـــسَ فـي بـلـدةٍ
أَخـــلاقَ قَـــوْمٍ مَـا لَـهُـم مـن خَـلاَق
هُـــمْ مَـعْـشـرٌ دِقٌّ فـمـن أَجـل ذا
أَضْـحَـت مَـعَـانـي الـلـؤمِ فـيـهـم دِقَـاق
لـمـا سـرت خَـيْـلـيَ عَـن أَرضِـهـم
أَسـمـيـتُ قَـلْـبـي بـعَـتِـيـق الـعِـتَـاق
وبَـــــدْرُ تِمٍّ قـــال لـي عـاتـبًـا
قـلَّـلْـتَ صَـبْـري يـا كـثـيـرَ الـنِّـفـاق
خـدعـتـنـي حـتـى إذا حُـزْتَـنـي
سـلَّـطْـتَ بـالـبـين عـلـيَّ المحـاق

قـلـتُ بـــدُورُ الـتِّـمِّ أَســـرى الـسُّـرى
فـــارْضَ بـأَنِّـي لَـــكَ يـا بـــدرُ وَاق
واقـــعـــدْ طـلـيـقًـا مـا نـــأَت دَارُه
وَدَعْ أَسـيـرًا سـائـرًا فـي وَثَـــاق
وربَّمـــــا كـــانـــت لـنـا عـــــودةٌ
وإِن تـكـن كـــانَ إِلـيـك المَـسَـــاق
مـــذْ صُـــعِـــقَ الـقَـلْـبُ لـتـوديـعِـهـم
وخَـــــرّ لـــم يـبـلُ فَـلـمَّـا أَفـــاق
إِن كـــان وجـــدي غـيـرَ فـــانٍ بـهـم
فـــإِنَّ قـلـبـي بَـعْـدَهُـم غَـيْـرُ بَـاق
والـلـــهِ لا سَـــاوَى وإِن كَـابَـرُوا
جـــورُ الـنَّـوى عـنـدي بـيـوم الـتَّـلاق

****

(76)

وقال أيضًا[1]:

[السريع]

فـــارقـــتُ مَـــن كـــنـــتُ لـــه مَـالـكًـا
يـــا وَيْـــحَ مـــن أُخـــــرِجَ عـــن ملـكِـه
نـقـلـت نـفـسـي جَـــاهِـــدًا بَـعْـدَه
مـــن ســعـــةٍ الـعـيـشِ إِلـــى ضـنْـكِـه
وخـــفـــتُ هَـــتْـــكَ الـسِّـــتـــر فـيـه فـقد
وقَـــعْـــتُ فِـيـمَـا خِـفِـت مـن هَـتْـكِـه
وكـــان لـــي عِـــقْـــدَ ســـــرُورٍ فَـقَـدْ
نَـــثَـــرْتُ ذَاكَ الـعِـقْـد مـن سِـلْـكِـهِ
وكـــم صـــديـــقٍ لـــيَ فـــي دَمْـــعِـــه
لَّـــا رأَى الحـــاسِـــدَ فـــي ضـحْـكـه
فـــديـــتُ مَـــن لـــم أَرَ لـــي لائـمًـا
يَـــلـــومُـــنـــي إِلاَّ عـــلـــى تَـــركـــه

****

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 594.

(77)

وقال أيضًا في مواساة مريض[1]:

[الهزج]

شـــفـــاك الـــلـــهُ مِـــــنْ دائِـــــكْ
وعـــــــــــدَّاه لأَعْـــــــدائـــــــكْ
وأَبـــــــــرى مِـــنـــك بـــالـــبُـــرءِ
قـــــلـــــوبًـــــا لأَوَدَّائـــــــــــــك
فَـــخَـــبِّـــرنـــي بـــإِصْـــبـــاحِـــ
ـــكَ فـــي الخـــيـــرِ وإِمْـــسَـــائـــك
وطـــيِّـــبْ أَنـــفـــسًـــا تَـــصْـــبُـــو
إِلـــــى طـــيِّـــب أَنْـــبَـــائـــك
فـــقَـــلْـــبـــي بـــات قـــد أَعْـــيـــا
مِـــــنَ الـــهـــمِّ كـــإِعْـــيَـــائـــك
أَخٌ فـــي الـــلـــهِ يَـــهْـــوَاكَ
ويَـــجْـــرِي خَـــلـــف أَهْـــوَائـــك
ويـــدعـــو الـــلـــهَ فـــي الـــسـرِّ
وفـــي الجَـــهْـــرِ بـــإِبـــقـــائـــك
وَلَـــوْ لَـــمْ يَـــرْعَ لِـــلْـــقُـــرْبَـــى
رَعَـــــى حُـــرْمَـــة آلاَئِـــك

(1) ديوان ابن سناء الملك، ص 595.

وقـــــد ضـــمَّـــكـــمـــا أَضْـــــــلُّ
كـــــــريمُ شَـــــابِـــــكُ شَـــائِـــك
وإِن غِـــبْـــتَ فـــمـــا غَـــــابَ
فـــــــــؤَادِي بـــين أَفْـــنَـــائِـــك
وعُـــــــذْرِي إِنْ يَـــكُـــنْ ذَنْـــبًـــا
فَـــقَـــابِـــلْـــهُ بـــإِغْـــضَـــائِـــك
فَـــكَـــم مِـــــنْ غَـــائِـــبٍ عَـــنْـــكَ
وَتَـــــلْـــــقَـــــاهُ بِـــلُـــقْـــيَـــائِـــك
وكـــــم مـــــن حُـــــضَّـــــرٍ عـــنْـــدَ
كَ لَـــيْـــسُـــوا مِـــــنْ أَحـــبَّـــائِـــك

✶✶✶✶

باب الموشحات

(78)

من موشحاته التي أوردها في كتابه «دار الطراز في عمل الموشحات»

قوله[1]:

نعم أنا منك في عذابْ وأشتهيكْ وأبذل النفس فيك بَذْلا وأشتريكْ

ويا جملةً كلَّها جمالْ ودولةً كلَّها دلالْ
ومِلّةً كلها ملالْ ما أنتِ شمسٌ ولا هلالْ

ولا قضيبٌ ولا غزالْ

أنت اقترافي وبرءُ ما بي أصبح فيكِ ولستُ ألقى الحياةَ إلا أن ألتقيكِ

إن التي متُّ في هواها حوت فؤادَ امرئٍ حواها
أعوذ بالله من نَواها ومن هوى غادةٍ سِواها

فقلْ لها إن لقيتَ فاها

لا تُحضِري أكؤسَ الشرابْ لعاشقيكِ أحلُّ منها لهم وأحلى شرابُ فِيكِ

ما لَكِ في الخَلْقِ من شبيهِ تِيهي فقد آن أنْ تتيهي
وقاتلي الصبَّ واقتليهِ أو لا فخافي الإلهَ فيهِ

وأسعديه وأسعفيهِ

قد أينعت زهرةُ الشبابْ لمُجْتَنيكِ ورونق الحُسن قد تَجَلَّى لمُجتليكِ

(1)دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق جودت الركابي، مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، ص 128-129.

مـضـى إلـيـهـا الـرسـولُ منّـي وجـــاء مـــن عـنـدهـا يـغـنّـي
ومـــا دَرَى أنـــه يُـهـنّـي وأنـــه جـــاء بـالـتّـمـنّـي

وقـــــال قـــالـــت أبْـــلِـــغْـــهُ عـنّـي
نُهُودِ قد خرّقت ثيابي واليومَ نَجيكْ عُريانًا ترضى بي وإلا نا نرضَ بيكْ

✶✶✶✶

(79)

من موشحاته التي أوردها في كتابه «دار الطراز في عمل الموشحات»

قوله[1]:

غــزالٌ فَــرّ مــن جَـنّـات عَـدْنِ ... وأبــدى بــدرَ تمٍّ فــوق غصنِ
وولّـــى آخـــذًا لـلـعـقـل مـني ... فـقـل لـلـبدر بـدرِ الأفــقِ عنّي
إنَّ بــدري غـايـبْ ... فكن لِطَرْفي عنه نايبْ

بـنـفـسـي مـن ثـنـايـاه الـعِـذابِ ... رضـابٌ جلَّ عن طعم الرُّضابِ
تُـقَـصِّـر عـنـه أنـفـاسُ الـشَّـرابِ ... فـيـخـجـل ثـم يـصـبـح بـالحَـبـابِ
رُبَّ رأسٍ شـايـبْ ... وجسمُه في الكأس ذايبْ

شـقـيـتُ بـه وقـيـل لـيَ الـسـعـيدُ ... وأغــوانــي ووالـــديَ الـرشـيـدُ
أمـيـرٌ مـن مـعـالـيـه الجـنـودُ ... وقــاضٍ مـن شـمـايـلـه الـشـهـودُ
وكـــريمٍ كـاتـبْ ... لـقـد عـلا أعـلـى المـراتـبْ

جـــوادٌ ديـنُـه بـــذل الـنـوالِ ... ويُـعـطـيـك الـنـوالَ بـلا سـؤالِ
فَـحُـلِّـيَ مـن نَـداه كـلَّ حـالِ ... وزيِّـــن طـالـعًـا أفــقِ المـعـالـي
مـنـه نجـمٌ ثـاقـبْ ... وهــذه إحــدى المـنـاقـبْ

هـنـاك الـعـيدُ يـا عـيدَ الـعـبادِ ... وعـشـتَ مُـبَـلَّـغًـا أقـصـى المـرادِ
فـقـد أغـنـت يـدي مـنـك الأيـادي ... وقـلـتُ لـمـن حـوى مِـنّـي فـؤادي
يـا غـلامَ الحـاجـبْ ... متى نُبَوِّس ذي الحواجبْ

****

(1)دار الطراز في عمل الموشحات، ص 150.

(80)

ولابن سناء الملك أوزان مخترعة في عمل الموشحات، ومن ذلك قوله[1]:

أهوى قمرْ أحوى أغَرْ حلو الرضابِ أَلمَى

وعـــاذلـــي لـــمّـــا نَـهَـى عـنِ الـتَّـصـابـي أعمى

الـبـسْ ضـنـاك جـهـرا واكـتـمْ هـــواك سِـــرّا

واذرِ الـــدمـــوعَ تِـبْـرا وارمِ الـــعـــذولَ بَـــرّا

فلو نَظَرْ كان أمَرْ بضعف ما بي حتْما

ومـــا نـهـى بـل كـــان قد عَـــدّ مُـصـابـي غُـنْـمـا

هـــل تـعـلـمـون مَـــنْ بـي حـسـبـي هـــواه حسبي

يـــا حـــرَّ نـــارِ قـلـبـي زِد يـا هـوى فـي كربي

ويا سَهرْ فلا تَذَرْ ويا اكتئابي مهما

أردتَ فـافـعـلْ لا تـخـفْ عـلـى عـقـابـي إثـمـا

مـا لـــيَ عـنـك مـذهـبْ كـيـف وأنـــتَ المطلبْ

لـك الـطِّـرازُ الـمُـذْهَـبْ لـك الـنـقـيُّ الأشـنـبْ

مثلُ الدُّرَرْ مثلُ الزَّهَرْ مثل الحَبابْ نَظْما

لـــك الـــذي نُـسـمـيـهِ خَـصـرًا كـالـسَّـراب وهـمـا

كـالـبَـرّ بـي عُـقـوقـكْ لأنـــنـــي مَـــشـــوقـــكْ

(1)دار الطراز في عمل الموشحات، ص 155.

اعــطــشُ إذا أذوقـــكْ وكـــــالـــــزُّلالِ رِيــقــكْ

فيه خَصَرْ ومُعتبرْ زاد التهابي بِالما

وكــلّــمــا شـــربـــتُ مـن ذاك الـــشـــرابْ أظـمـا

وغـــــــــادةٍ مـخـتـالـه مـــا صَـلُـحـتْ إلا لَـهْ

غـنَّـت بـشـرح الحـالـه إذ خَـــــرق الـغِـلالـه

لما عَبَرْ وقد سكرْ خَرَّقْ ثيابي ظُلما

فـي حِـلٍّ هُـوْ لا تنقلوا لـو مِـن عـتـابـي كِـلْـمـا

✶✶✶✶

(81)

ومن مخترعاته في أوزان الموشحات أيضًا[1]:

أوقــدْ لـنـا الـنـارَ الـتـي تُـطـفـئ نـــارَ الحُـــزْنِ
نـــارًا كـمـثـل الجـنّـةِ فـــي طـيـبـهـا والحُـسْـنِ
واعـقِـدْ لـبـنـت الـكـرمـةِ عَـقْـدًا عـلـى ابـن الـمُـزنِ
واطـلـقْ ســراحَ الخـمـرةِ مـن سـجـنـهـا فـي الـدَّنِّ

شُعاعها بكفّي يُخرجني من إلفي وقد شربتها كيْ

تُوقعني في سكرةٍ تجذبني بعِطْفيْ

شـربـتُـهـا حـتـى أرى لـي راحـــةً فـي الـــرَّاحِ
وطـال فـي لـيـلـي الـسُّـرى فـجـئـتُ لـلـصّـبـاحِ
ولـيـس يُـفـنـي ذا الـورى إلا هـــوى المِـــلاحِ
ومـا حـديـثـي مُـفْـتَـرى فـأصـغِ لـه يـا صـاحِ

قصَّ الهوى جناحَيْ فَرُحتُ بين بُرْدَيْ لا ميّتًا ولا حَيْ

يُسهر عيني الذي فديتُه بعينَيْ

يـا مَـنْ رأى لـي أمـردا كـالـبـان حُـسْـنُ قَـدّهِ
وآخـــرًا كـمـا بَـدَا عِـــذاره فـي خَـــدّهِ
هـــذا وهـــذا قـد غـدا والحـسـنُ عـبـدُ عـبـدهِ
إلـفـان لـي قـد جَـرّدا سـيـفَ الـهـوى مـن غـمـدهِ

فَمَنْ رأى كإلفَيْ طلعةُ ذا بدرُ الحَيْ وقلبُ ذا صخرُ الغيْ

وكـلُّ شـيءٍ بعد ذا وبعد هـذا لا شـيْ

(1)دار الطراز في عمل الموشحات، ص 162.

قـلـبـيَ وهـــو الـشـاهـدُ أنـــي بـغـيـر قـلـبَـيْـــنِ
فـكـيـف وهْـــو واحـــدُ يـهـوى وصـــال اثـنـيـــنِ
مـــا هـــو إلا مـــاردُ وقـــائـــدٌ إلـــى الحَـيْـــنِ
الجـــمـــرُ فـيـه واقـــدُ يـــومَ الـلِّـقـا والـبَـيْـــنِ

النارُ بين جَنْبَيْ يا ويحَ قلبي يا وَيْ ويستحقّ ذا الكيْ

لم يلقَ ذا لو كان يهوى أمَّ عمرٍو أو مَيْ

وبـــعـــد هـــذا أفَـــلا وغَـــرّبـــا فـــي الـشّـــرقِ
وفـــارقـــانـــي أفَـــلا أبـكـيـهـمـا بـحـقِّ
لا سـيّـمـا وقـــد خَـلا مـــن نَـــيِّـــرَيْ أُفـقـي
فـقـلْ لِـمَـن قـد رَحَـلا إلـيـهـمـا عـــن عـشـقِ

إذا وصلتَ للرّيْ سَلِّمْ على حبيبَيْ وانظرهما بعينَيْ

تنظرهما شمسًا وأي والبدر بالتركي أي

✶✶✶✶

(82)

ومن مخترعاته في أوزان الموشحات، أيضًا[1]:

عَطفَتْ ولكنْ هِجرانا وحَبَتْ ولكنْ أشجانا

قَبَّحتْ عليّ المليحه إذ غدت بوصلي شحيحه
أسقمتْ ضلوعًا صحيحه لو أتت لكانت مسيحه

وشفتْ جفونًا قريحه

ذَرَفتْ عليها ألوانا سَحَبَتْ بخَدّي أدرانا

فِطْري بريقكِ صائمْ حائرًا عليكِ وحايمْ
ناسكًا وقد عاد هايمْ بهوى يحلّ العزايمْ

وكفاكِ أنَّ الحمائمْ

هَتَفَتْ بوجدي ألحانا أطربتْ عليها الأغصانا

ما أنا لخِدِّكِ ناسِ بل أنا لخَدّك آسِ
لونُه كحُمرة كاسِ ذهبٌ به الخدُّ كاسِ

فاعجبوا إلى غصن آسِ

زخرفتْ عليه بستانا فَنَبَتْ عليه عِقْيانا

حَسُنت فساءت ظنوني ومضتْ فجاءت مَنُوني
ورنتْ فأيُّ فتونِ هل درتْ بعلمٍ يقينِ

أنها بتلك الجفونِ

(1)دار الطراز في عمل الموشحات، ص 164.

أوْجَفتْ علينا فُرسانا فَسَبَتْ ولكنْ أتقانا

كـــزِّروا علـيـهـا سـؤالـي لـتِـجـودَ لـي بـالـوصـالِ

وتَمَـــلَّ إلـــفَ الـــمـلالِ فـسـخـتْ بـقـولٍ مُـحـالِ

فـشـدا عـلـيـهـا مـقـالـي

حَلَفَتْ ما تحبْ إلا أنا كَذَبَتْ ونعمةِ مولانا

✶✶✶✶

(83)

ومن المخترعات عنده قوله[1]:

يـا وجـنـةَ الـــوردِ أو يـا قـامـة الآسِ ... مـا النـاسُ إن لم يهيموا فيك بالناسِ
يـا بَـــرْدَ رِيـقـك أو يـا حَـرَّ أنفـاسـي ... لـولا ثـنـايـاك لـم أنـشـط إلـى الـكـاسِ
وحـاشـا هـــوايَ أن يـكـسـلْ ... عـن وصـل المـلاحِ والسلسلْ

لابـدَّ لـي مـنـه إذ لا صـبـرَ لـي عـنـهُ ... ومـا وجـدت بـديـلاً فـي الـورى منهُ
يـا سـايـلـي عـن مـلـيـحٍ مـا لـه كُـنْـهُ ... إسـمـعْ صفـاتـي لـه تـعـلـمْ بـهـا مـن هُـو
ساجي الـطَّـرْفِ أسـمـرٌ أكـحـلْ ... إذ نـــراه عِـــقْـــدي يـنـحـلْ

بيني وبـين حبيبي فـي الـهـوى حاجزْ ... قـد جِـــرْتُ مـنـه وانـــي قـــادرٌ عـاجـزْ
لا ظـافـرٌ أنـا فـي عـشـقـي ولا فـايـزْ ... وكـلُّ شـيءٍ مُـحـالٌ فـي الـهـوى جـايـزْ
أرانـــي مـع قـدرتـي أُخـــذلْ ... تـكـفـيـنـي شـمـاتـةُ الـــعُـــذَّلْ

يـا مـالـكـي ذَلَّ سـلـطـانـي لسلطانكْ ... يا حسنَ وجهك إذ يسخر بإحسانكْ
وحـسـنَ قَـدّك إذ يـزهـو بِبستانكْ ... ولـسـتُ أطـلـب إلا شَـــمَّ ريـحـانـكْ
إنَّ الـــشَّـــيءَ مـنـكـم إن قـلْ ... فـهـو عـنـدي مـنـكـمُ قـد جَـلْ

لا فـي السُّرى نِلتُ مقصودي ولا السَّيْرِ ... والـقـلـبُ قـد صـار طـيّـارًا مـع الطَّيرِ
يـمـضـي بـخـيـرٍ ويـأتـيـنـي بـلا خـيـرِ ... حـتـى لـقـد قـلـتُ مـا قـد قـالـه غـيـري
وا ويلي وا ويلي وايشْ أعملْ ... مـا بـقـى فـي قُـلَـيْـبـي مـا يُـحْـمَـلْ

****

(1)دار الطراز في عمل الموشحات، ص 168.

(84)

ومن المخترعات قوله[1]:

كَلفِي بالغرامْ خُلُقٌ للكرامْ فاعذرِ المستهامْ

واكفِ قلبي الملامْ ما لنا والكلامْ

لستُ أُصغي إلى أساطيركْ عكس الحبُّ حسنَ تقديركْ لأمورٍ مُقَدَّرَهْ

يا وجوهَ الحِسانْ لا أقول الأمانْ ليس عشقي جبانْ

ونَعَمْ لي يدانْ مرحبا بالهوانْ

باركَ الله لي ولا بُورِكْ في عذولٍ عماه من نورِكْ قمرُ الحُسن أَقمرَهْ

آهِ وا غلَّتي في هوى خُلَّتي بعد ما وَلّتِ

يا جفونَ التي أسهرت مُقلتي

فتْنَتي من فتون تفتيركْ وانكساري من حسن تكسيركْ أنت ذنبٌ ومَغفره

ماتَ منها الودادْ فثكلتُ المرادْ ولبستُ السوادْ

فوق عيني حِدادْ فارحمي ذا الفؤادْ

وأقلِّي تعذيبَ مهجوركْ فهو بالسقم مثلُ مأسوركْ غيَّر السُّقم منظرَهْ

خابَ فيها الأملْ والهوى والغَزَلْ فأخذتُ البدلْ

والليالي دُوَلْ فشداها العَذَلْ

لعنَ اللهُ رأيكِ وتدبيركْ خَلَّيتيه حتى أخذه غيركْ لا لا يا محيّره

****

(1)دار الطراز في عمل الموشحات، ص 170.

(85)

ومن موشحاته، قوله[1]:

إذا الحبيبُ جفاني واصَلْتُه بالأماني يا طيبَ وصلِ فلانِ

هل أنت مني دانِ وهل أراه يراني
وهل يعود كما كانْ زمانْ معْ فتّانْ

إذا نظرتَ لِوردهْ ما بين أزهار خَدّهْ من فوق نُوَّار عِقدهْ

يحلو على غصن قَدّهْ من تحت أوراق بُردِهْ
فقد رأيتَ البستانْ عِيَانْ في إنسانْ

برغم أنف الخَلِيِّ سكرتُ بالبابلي من لحظ هذا الصبيِّ

وقد وَفى لي برِيْ من الأقاح الشَّهِيْ
وَفَى برِيّ الظمآنْ جُمَانْ في مَرجانْ

أيا مليحًا مليكا ما أعذبَ الملحَ فيكا انظر إلى عاشِقيكا

فكلُّهم يشتهيكا وكلُّهم يشتكيكا
واكتبْ لهم يا سلطانْ أمانْ من هجرانْ

لم يبقَ للإلف مغنَى يأوي إليه المُعنَّى من أجل ذا هِمْتُ حُزنا

ودمتُ حيرانَ مُضْنَى أبكي وغيريَ غَنَّى
لي عند بعض الجيرانْ مكانْ وإمكانْ

****

(1)دار الطراز في عمل الموشحات، ص 173.

(86)

ومن موشحاته البديعة في الزهد والندم[1]:

طايرْ قلبي وقعتَ في الأشراكْ أشراكِ هذي الدنيا وما أدراكْ
إياكَ واحذرْ غرورَها إياكْ أفٍّ لدنيا عن وَصْلِها أنهاكْ

كم جاهلٍ خَوَّلتْه بالبختِ نُعمى
وعاقلٍ قد رَمَتْه بالمقتِ ظُلما

نفسي بها قد وقعت في بلوَى تهوى الهوى والهوى هو المهوَى
وإن تَبَدَّى الكحيلُ والأحوى فَثَمَّ حَوْمٌ للنفس بل مَثْوى

أخطأتِ واللهِ ثم أخطأتِ مَرْمَى
يا نفسُ ياليتَ ليتَ لا كنتِ ثَمّا

باللهِ يا نفسُ اسمعي منّي مالكِ خَيَّبتِ في الهوى ظنِّي
يفوز قومٌ بجنّتَيْ عَدْنِ وأنتِ في حسرةٍ وفي غُبنِ

مُصيبةٌ قد جلَّت عن النعتِ عظمى
يا عَجَبًا منك كيف ما مُتِّ غمَّا

أين الذي قد بَنَى وقد شَيّدْ أين الذي لامسَ السُّهَى باليدْ
أين الذي ظنَّ مُلْكَه سَرْمَدْ وظنَّ أن لا يفنَى ولا يَنْفَدْ

فأنقَذَ اللهُ فيه للوقتِ حُكْما

(1)دار الطراز في عمل الموشحات، ص 175.

فصيَّروا مَن عليه في الـمَرْتِ رَدْما

يا ربِّ عفوًا فإنني جاهلْ يا ليتني عنكَ لم أكن ذاهلْ
وليتني ما اغتررتُ بالزايلْ وليتني قطُّ لم أكن قايلْ

جاع المُسَيكين وصاح ياسِتّي مَمَّا

✶✶✶✶

الفهرس

- التصدير 3

- المقدمة 5

باب المدح

(1) 11

(2) 17

(3) 23

(4) 30

(5) 34

(6) 38

(7) 41

(8) 46

(9) 50

باب التهنئات

(10) 57

(11) 63

64 ..... (12)

69 ..... (13)

74 ..... (14)

75 ..... (15)

77 ..... (16)

79 ..... (17)

باب الغـزل

83 ..... (18)

85 ..... (19)

88 ..... (20)

90 ..... (21)

92 ..... (22)

94 ..... (23)

96 ..... (24)

98 ..... (25)

100 ..... (26)

101 ..... (27)

103 ..... (28)

105 (29)
107 (30)
109 (31)
112 (32)
114 (33)

باب الرثاء

119 (34)
123 (35)
126 (36)
129 (37)
138 (37)

باب الاعتذار

135 (38)
141 (39)
143 (40)
145 (41)

باب النقد والزهد

149 (42)
151 (43)

153 (44)

156 (45)

157 (46)

باب الفخر

161 (47)

162 (48)

164 (49)

باب الوصف

171 (50)

172 (51)

173 (52)

173 (53)

174 (54)

174 (55)

175 (56)

178 (57)

178 (58)

179 (59)

باب الخمريات

187 ..... (60)

189 ..... (61)

191 ..... (62)

191 ..... (63)

192 ..... (64)

193 ..... (65)

195 ..... (66)

196 ..... (67)

باب الإخوانيات

201 ..... (68)

206 ..... (69)

208 ..... (71)

208 ..... (72)

209 ..... (73)

209 ..... (74)

210 ..... (75)

213 ..... (76)

214 ..... (77)

باب الموشحات

219 ..... (78)

221 ..... (79)

222 ..... (80)

224 ..... (81)

226 ..... (82)

228 ..... (83)

229 ..... (84)

230 ..... (85)

231 ..... (86)

233 ..... - الفهرس

****